بلاغة الحجاج في البديع المعنوي عند ابن الناظم

د. عشري محمد علي محمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد كلية الآداب– جامعة السويس

ملخص

أمران لا يغني أحدهما عن الآخر، **الأول:** ضرورة الاهتمام بالتراث البلاغي العربي، **والآخر:** أهمية الإفادة من الدراسات اللسانية الحديثة؛ وهذا إنما يتمّ لسببين: مسايرة سُنة التطور العلمي لتحديث الأدوات البلاغية القديمة وإخراج الرصيد الإيجابي المكنون في التراث العربي من ناحية، وتحاشي الوقوع في الرؤية الأحادية من ناحية أخرى.

من هذا المنطلق يحاول هذا البحث استخرج مظاهر الحجاج في المحسنات المعنوية عند ابن الناظم في كتابه (المصباح في المعاني والبيان والبديع)، وهذه المحسنات هي: حسن البيان والإيضاح والمذهب الكلامي والتبيين والتتميم والتقسيم والاحتراس والتكميل والتذييل والاعتراض والمبالغة والإيغال والتكرار والاستطراد والتجريد والتفريع وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتعليل، والتهكم.

واتضح من خلال ذلك أن البديع الذي اتُّهِم بأنه سبب من أسباب جمود البلاغة هو نفسه سبب من أسباب نهضتها، لما له من دور حجاجي واضح، كما أن الحجاج يمكن أن يقدم حلولًا للتفريعات الكثيرة الموجودة في المحسنات البديعية موضع الدراسة، حيث يمكن تقسيم هذه المحسنات من حيث الوظيفة الحجاجية التي تقوم بها إلى مجموعات، مع الأخذ في الاعتبار أن الأهداف الحجاجية للمحسن الواحد يمكن أن تتغير من سياق لآخر، ومن ثم يتم تحويل هذا المحسن من مجموعة إلى أخرى.

(ISSN: 2536 - 9555)

The rhetoric of argumentation in the intangible Badi' according to Ibn Al-Nazim

Dr. Ashry Muhammad Ali Muhammad

Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arts, Suez University

Abstract

Two things are not mutually exclusive, the first: the necessity of paying attention to the Arabic rhetorical heritage, and the other: the importance of benefiting from modern linguistic studies; This is done for two reasons: keeping pace with the custom of scientific development to update the old rhetorical tools and to bring out the positive balance hidden in the Arab heritage on the one hand, and to avoid falling into a monolithic vision on the other hand.

From this point of view, this research attempts to extract the manifestations of argumentation in the moral improvements of Ibn Al-Nazim in his book (Al-Misbah fi Al-Ma'ani, Al-Bayan and Al-Badi'). These improvements are: good statement, clarification, theological doctrine, clarification, completion, division, caution, supplementation, appendix, objection, exaggeration, repetition, digression, abstraction, branching, emphasizing praise with something similar to slander, reasoning, and sarcasm.

Through this, it became clear that Al-Badi', who was accused of being one of the reasons for the stagnation of rhetoric, is itself one of the reasons for its renaissance, because of the clear role of argumentation, and that argumentation can offer solutions to the many ramifications found in the Badi'i improvements under study, as these improvements can be divided according to function of argumentation into groups, bearing in mind that the goals of argumentation for a single enhancer can change from one context to another, and then this enhancer is transferred from one group to another.

مقدمة

لا أحد يستطيع أن ينكر التأثير والتأثر الذي يحدث عادة بين العلوم وبعضها البعض، وهو بلا شك مما يفيد البحث العلمي بفروعه المختلفة، كما يَنْتُج عن ذلك ما بات يُعرف الآن بالعلوم البَيْنِيَّة، وأحسب أن علم البلاغة من أكثر العلوم تأثرًا بما حوله من تخصصات وثقافات مختلفة، لا تزال تظهر يومًا بعد آخر، وإذا كانت البلاغة العربية قديمًا قد أفادت من العلوم اللغوية والإسلامية إفادة عظيمة، فإنها في العصور الحديثة قد تأثرت بغيرها من علوم اللسانيات كالتداولية والحجاج وتحليل الخطاب والسميائيات وغير ذلك، وكما يُقال: ما أشبه الليلة بالبارحة!

ويرى طه عبد الرحمن أنه لا بِدْعَ في أن تؤثر العلوم الإسلامية بعضها في بعض، فـ"تنتقل، على سبيل المثال، أوصاف الدليل من المنطق إلى علم الكلام، ثم منهما إلى علم الأصول، فإلى علم البلاغة"(١)، ومن ثم، فلا يجب أن ننسى دور الدراسات الإسلامية عامة، والدراسات القرآنية خاصة في البلاغة العربية القديمة، وهذا أمر لا يضير البلاغة في شيء، فالعلوم كالكائنات الحية تتفاعل مع البيئة المحيطة بها، وحقل البلاغة وإن كان قد تأثر بغيره من علوم عصره فإن هذا لا ينفي مقدار ما وصل إليه ذلك العلم عند العرب القدامى، يقول حازم القرطاجني: "هذا على أن العرب انتهت من إحكام الصنعة الجديرة بالتأثير في النفوس إلى ما لم تنته إليه أمة من الأمم"(٢).

من هذا المنطلق هل يمكن أن تتأثر البلاغة الحديثة بالعلوم المعاصرة، وهل توجد أدوات بلاغية قديمة يمكن بعثُها من جديد؛ لتتفق مع روح العصر الحالي؟ من الطبيعي أن نجد في التراث عناصر يمكن تحديثها وربطها بما يناظرها أو يقترب منها؛ "لتكون خيطًا في نسيج الحاضر، فتساعد في إبراز الأصالة من خلال التعامل مع الموروث تعاملًا مُسْتَحْدَثًا"(٣).

إن محاولة التحديث لا تعود بالفائدة على البلاغة الجديدة فحسب، وإنما ربما تفيد في إعادة النظر للتراث القديم كذلك، فهي تشي، بما لا يدع مجالًا للشك، بصلاحية هذا التراث البلاغي للإحياء مرة أخرى، لهذه الأسباب تحاول هذه الدراسة أن تتناول المحسنات المعنوية من منظور حجاجي، حيث يمكن للبلاغة

(ISSN: 2536 - 9555)

القديمة أن تقدم للحجاج ترسانة من الأدوات البلاغية التي توجد بداخلها وسائل إقناعية متنوعة، وفي الوقت نفسه يمكن أن يردَّ الحجاجُ الجميلَ للبلاغة بأن يحفظها من تشقق الظواهر البلاغية بشواردها وتفريعاتها الكثيرة، مما ييسر للباحثين استيعاب هذه الظواهر ومعرفة دورها داخل النصوص، وهو ما سنشير إليه لاحقًا من أن الحجاج يمكن أن يقدم حلولًا لأنواع المحسنات البديعية الكثيرة(٤)، و"لا مفر؛ لكي نحمي الحقل البلاغي من التشتت، أن نحدد للبلاغة مجالًا يستوعب البلاغة القديمة"(٥)، إن الاكتفاء بالدراسات التي تبحث في جمال المحسنات البلاغية، كما هو معهود، دون إبراز جوانب الإقناع فيها مما يؤثر سلبًا في هذا النوع من البلاغة.

البلاغة والمنطق

إذا كنا نتحدث عن التأثير والتأثر بين البلاغة القديمة والعلوم الأخرى فإن هذا التأثير واضح بشدة بين البلاغة والفلسفة وعلم الكلام، بداية من قدامة بن جعفر ووصولًا إلى شُرَّاح التلخيص الذين برعوا، إلى جانب البلاغة، في الفلسفة وعلم الكلام، والصلة بين هذه العلوم جميعًا والحجاج صلة وثيقة، وقد ربط علماء المدرسة الكلامية في مجال البلاغة بينها وبين الحجاج، حتى العلماء الذين صُنِّفوا ضمن أصحاب المدرسة الأدبية قد لاحظوا بدورهم العلاقة بين البلاغة والحجاج وعلم الكلام، فقد تعرض أبو هلال العسكري لفوائد البلاغة ودورها في الوقوف على إعجاز القرآن الكريم قائلا: "قبيح لعمري بالفقيه المؤتمِّ به، والقارئ المهتدي بهديه، **والمتكلّم المشار إليه في حسن مناظرته، وتمام آلته فى مجادلته، وشدّة شكيمته فى حجاجه**، وبالعربيّ الصّليب، والقرشي الصريح ألّا يعرف إعجاز كتاب الله تعالى إلّا من الجهة التي يعرفه منها الزّنجي والنّبطي"(٦).

وقد استُخدمت كلمة الجدل كثيرًا في وصف البلاغة، وهي "تُوهم بأن البلاغة ضرب من الجدل العقلي الاستدلالي المحض، ولا تخلو البلاغة قطعًا من هذا الجدل، ولكنه لا يشملها كلّها"(٧)، إلا أنه شيء أساسي فيها، ولا غنى لها عنه، فالبلاغة إذا انتُزِعت منها الأبعاد الفلسفية فإنها لا يبقى منها سوى مهارة التقاط الوجوه البلاغية التي رُبّما لا يشعر كثير من قُرَّاء الأدب بأنها مهمة(٨).

من هنا جاءت عبارة أرى أنها معبرة لأقصى درجة عن الدور الذي يقوم به الحجاج في البلاغة، يقول أحمد حسن الزيات: "الجدل هو عصب البلاغة"(٩)، إن ما أُخِذَ على البلاغيين العرب من الإغراق في الأساليب الجمالية يمكن أن يُنْظَر

إليه من وجهة أخرى، ألا وهي محاولة استخراج وظائف حجاجية من هذه الأساليب نفسها، فيتحول الأمر من القدح فيها إلى المدح، ومن ثم تكتسب العودة إلى التراث البلاغي العربي قيمة مزدوجة: **الأولى:** إعادة قراءة مدونات البلاغيين قراءة استدلالية، **والثانية:** اكتشاف مقترحات البلاغيين بخصوص الاستدلال الطبيعي وقضاياه(١٠).

للغة منطقها الخاص الذي يختلف بدوره عن المنطق الصوري، ولها استدلالاتها المرتبطة باللغات الطبيعية، ويتضح ذلك في البنيات الحجاجية اللغوية، وهي بلا شك أوسع من الاستدلالات البرهانية بكثير(١١)، كما أن ارتباط الحجاج بما هو محتمل جعل فرصة وجوده واستعمالاته كبيرة، واللجوء إليه أحوج، وهو ما يتفق أكثر وطبيعة الفكر الإنساني الذي يكثر فيه الاشتباه والترجيح، واللغة بلا شك هي الوجه الآخر لهذا الفكر،"إن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلقٌ وحتميٌّ"(١٢).

كل هذه الصفات في الحجاج، وفي تعريفاته، جعلته موجودًا بالفعل في كثير من أنواع الخطاب، وخاصة الأنواع التي تريد أن تُحدث تغييرًا في موقف الآخر أو سلوكه، ومن ثم يمكن استخراج التقنيات الحجاجية من الأساليب البلاغية في النصوص القديمة، وإمكانية توظيفها أيضًا في النصوص الإبداعية الحديثة والخطابات السياسية والقانونية وغيرها، ومن ثم يمكن للحجاج "أن يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعًا تأثيريًّا لا يقين فيه ولا إلزام"(١٣).

ولا شك أن النصوص الأدبية في مقدمة النصوص التي تروم إقناع جمهور المتلقين للإبداع الأدبي بأنواعه المختلفة، إن أي نص أدبي يحتاج إلى وسائل وأدوات للتأثير في المتلقي، فالحجاج ضروري في التواصل الأدبي بصفة خاصة، وفي أي تواصل آخر بصفة عامة، لكن قد تتنوع الوسائل الحجاجية وتتعدد، وقد تختلف كثافتها من نص لآخر، لكنها في النهاية من المفترض أن تحاول إقناع الطرف الذي يستقبل هذا النص.

في الجانب المقابل، وهو مجال الدراسات البلاغية، ثمة ارتباط وثيق بين البلاغة والمنطق، يقول أحمد حسن الزيات: "إن البلاغةَ بمعناها الشامل الكامل ملكة يؤثِّر بها صاحبُها في عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة ... ومن هاتين الموهبتين تنشأ موهبة الإقناع على أكمل صورة"(١٤).

يقوم الحجاج أيضًا على استمالة القارئ إلى جانبه، عن طريق العقل أو العاطفة، فهناك نوعان من الحجاج: حجاج عقلي وحجاج عاطفي، ومن ثم عقد

(ISSN: 2536 - 9555)

أرسطو قديمًا مصنفين للحجاج، هما: الأول: المواضع، والثاني: الخطابة، حيث تقوم المواضع على الحجاج العقلي، وتقوم الخطابة على الحجاج العاطفي، وتمثل الخطابة مصدرًا مهمًا من مصادر الحجاج عند أرسطو، فهو ينطلق من وسائل الاستمالة الثلاثة، وهي: أخلاق الخطيب (إيتوس **Ethos**)، ومشاعر الجمهور (باتوس **Pthos**)، واللوغوس **Logos**، والبلاغة الأرسطية أعطت الأولوية للغة أو اللوغوس(١٥)، وكذلك البلاغة الجديدة اهتمت به أكثر من جوانب الخطاب الأخرى، و"اللوغوس: وهو الخطاب نفسه، ويعبر عنه اللغويون المحدثون بالرسالة التي يلعب فيها الأداء اللغوي دورًا حاسمًا في تحقيق هذه الاستمالة سواء بجمالية الخطاب أو بسطوة الحجاج العقلي أو بهما معًا"(١٦).

أما بيرلمان وتيتيكاه في البلاغة الجديدة فقد اعترضَا على هذا التقسيم؛ لأن غاية الحجاج هي إحداث التأثير العملي الذي يمهد له التأثير الذهني، و"يكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية"(١٧)، إن نقطة ارتكاز البلاغة الجديدة هي العقل (إذعان العقول) والكلام (تقنيات الخطاب)، وهذا يعني أن بلاغة بيرلمان تعتمد على حجة اللوغوس Logos بالمعنى المزدوج الذي لهذه الكلمة في اللغة اليونانية: وهو العقل والكلام(١٨)، وقد اتفق معه ديكرو وأنسكومبر حيث عوّلا على الكلام وحده مصدرًا للحجج ومسرحًا لها(١٩).

وهو الأمر نفسه من حيث التركيز على الوسيلة الحجاجية المستخدمة في الحجاج عند روث آموسي، "لقد امتحنت روث آموسي... مبدأ التفاعل التلفظي بين المتحاورين، وخلصت إلى كون صورة المتكلم لدى السامع (الإيتوس)، وكذلك نوعية الحجة إنما لهما الدور الأكبر في كلِّ تفاعل حجاجي"(٢٠)، من هذا المنطلق حاولت هذه الدراسة إثبات صحة الافتراض القائل بأن الحجاج يعتمد بقوة على اللغة، أي استخراج الحجاج من الخطاب، وإثبات أن الحجاج مصدره الرئيس إنما يأتي من اللغة، ومن ثم، فإن إصرار البلاغيين العرب القدامى على المحسنات لم يأتِ من حرصهم على جماليات اللغة فقط، وإنما من مُنطَلق الوصول إلى آليات إقناعية في المحسنات البديعية الكامنة في الخطاب اللغوي.

الحجاج والبديع

ليست كلّ النصوص ولاسيما الأدبية تعتمد على فنون البديع في أساليبها، حتى شعراء العصر الجاهلي كان الواحد منهم يكتب القصيدة كاملة، ورُبّما لا تجد فيها إلا محسنًا أو محسنَيْنِ، أو لا تجد أية محسنات على الإطلاق، يقول أبو هلال العسكري: "اعلم أن كل موضع من الكلام ليس صالحًا لعلم البديع، وإنما

يصح فى مواضع من الكلم دون مواضع"[٢١]، والحجاج يشبه البديع في هذا الجانب أيضًا، فالحجاج هو الآخر لا يصلح في كل المواقف، و"من التسرع الاعتقاد أن الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط، فهناك كثير من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية"[٢٢].

وفي الجانب المقابل ذهب القدماء إلى أبعد من ذلك بالنسبة للبديع، فرأى ابن المعتز أن الإسراف في استخدام البديع قد يؤدي إلى إشكال فني ربما يُودِي، من وجهة نظره، بثراء الشعر، يتضح ذلك من كلامه عن الشاعر العباسي أبي تمام الذي جاء فاستخدم البديع بكثافة عالية أكثر من سابقيه، يقول: "إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُغِفَ به (البديع) حتى غَلَب عليه وتفرع فيه وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك، وأساء في بعض، وتلك عقبى الإفراط وثمرة الإسراف"[٢٣]، وهذا وجه آخر من وجوه الشبه بين البديع والحجاج، حيث إن التوسع أيضًا في استخدام الحجج يأتي بنتيجة عكسية، يقول عبد السلام عشير: "الاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلا يكون له دور مهم في عملية الإقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير مناسبة يُفقد الحجاجَ فعاليته وقوته"[٢٤].

هنا يمكن أن نطرح سؤالًا: هل يمكن أن نستخرج تقنيات حجاجية من فنون البديع المختلفة؟ تُصَنِّفُ كل من البلاغة العربية والغربية فنون البلاغة إلى نوعين كبيرين: **الأول:** البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية)، **والثاني:** الصور والوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية (بلاغة المحسنات)[٢٥]، ويعني هذا التقسيم للوهلة الأولى أن الحجاج مقصور على البنيات الإقناعية دون المحسنات، غير أن هذه المحسنات التي صُنِّفت ضمن النوع الثاني من أنواع البلاغة تُعَدُّ في الحقيقة مصدرًا ثرًّا للبلاغة الحجاجية، فهي أدوات وأساليب بديعية تقوم بدور حجاجي ملموس، وهذا يعني أن المحسنات البديعية في البلاغة العربية، وإن كانت تحظى بقيم جمالية صوتية ودلالية، فإنها في الوقت ذاته لا تخلو من محاور حجاجية في غاية التأثير والإقناع، إن البلاغة الجديدة غير معنية بشكل الخطاب من أجل الزخرف أو القيمة الجمالية، بل من جهة كون ذلك وسيلة للإقناع، وهو اهتمام لم يكن غائبًا عن العرب القدامى في شتى علوم البلاغة لاسيما علم البديع.

(ISSN: 2536 - 9555)

من هنا يرى طه عبد الرحمن "أن أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست طرق اصطناع التحسين والبديع، وإنما هي، أصلًا، أساليب للإبلاغ والتبليغ"(٢٦)، كما ينقل عبد الله صولة عن بيرلمان وتيتيكاه أن الوجوه البلاغية التي كثيرًا ما نُظر إليها نظرة أدبية حصرتها في وظيفة التحسين والتزويق هي ذات بعد حجاجي، "إن ما يهمّ صاحِبَيْ (مصنف في الحجاج) هو النظر إلى بعض الصور البلاغية باعتبارها مستخدمة في الخطاب لحاجات الحجاج، وأنها ذات قيمة حجاجية"(٢٧)، ويؤكد صولة على أن المقصود بالصور البلاغية يتجاوز مفهوم المجاز في البلاغة العربية؛ ليشمل كل بنية أو شكل تركيبي أو دلالي أو براجماتي تَرِدُ في الكلام بطريقة غير عادية، وتشدّ انتباه السامع أو القارئ، شأن التكرار على سبيل المثال.

ويرى بيرلمان وتيتيكاه أنه لا فصل بين الشكل والمضمون، وأنه لا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية فحتى ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع من الظواهر الشكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولد عنه من إعجاب ومرح وانبساط وحماس لدى جمهور السامعين، على أن هذه الظواهر الشكلية ليست ذات وظيفة حجاجية مباشرة، لهذا أهمل المؤلفان درسها رغم اعترافهما بأهميتها نزوعًا منهما إلى البحث في تقنيات الحجاج الأعلق بالمضمون دون الشكل(٢٨).

ما من وجه بلاغي إلا وله وظيفة، قد تكون هذه الوظيفة حجاجية، وقد تكون جمالية، و"يرى بيرلمان أن الشكل البلاغي يعتبر برهانيًّا كلما استطاع أن يولِّد تغيرًا في المنظور... وعلى العكس من ذلك إذا كان الخطاب لا يثير تأييد المتلقي لهذا الشكل البرهاني، فإنه يتم إدراك الشكل البلاغي حينئذ باعتباره مجرد زينة أو حيلة أسلوبية... وغاية ما هناك أنه بوسعنا أن نكتشف عددًا من الأبنية الصالحة لكي تتحول إلى أحد الشكلين"(٢٩).

في ظل وجود هذه العلاقة القوية بين البديع والحجاج، هل يمكن أن يقدم الحجاج طرقًا لتقسيم المحسنات البديعية تبعًا لنوع الحجة المستخدمة أو هل يمكن التقريب بين أنواع البديع المتجانسة والمتناظرة في الحجج؟ يستطيع الحجاج أن يقدم خدمة جليلة للتفريعات الكثيرة في المحسنات البديعية، خاصة في ظل عدم

وضوح أسباب التقسيم في بعض المحسنات البديعية عند بعض البلاغيين، فالأصول التي وضعها القزويني مثلًا، لم تكن كافية، و"لم يكن تقعيد البديع وتقنينه إنهاءً حاسمًا للتفريع بضم الأشباه والنظائر"(٣٠)، كما أن من القدامى والمعاصرين من يُدخِل بعض المحسنات في علم المعاني(٣١)، أو يجعلها من علم البيان على النحو الذي سأوضِّحه في التجريد والمبالغة على سبيل المثال.

يمكن في الوقت نفسه أن يقدم البديع حلولًا جوهرية للحجاج، عندما يثري البديعُ النصوصَ الأدبية بكل ما هو جديد ومبتكر من المعاني، فالبديع يمكن أن يقدم التنوع للحجاج، أليست المعاني المبتكرة هي في الأصل وراء نشأة الفنون البديعية في التراث العربي؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ألا يحمل المعنى اللغوي لكلمة بديع معنى الجدة والحداثة؟

ثمة علاقة قوية بين البديع والمعاني الجديدة، و"إذا كانت البلاغة بمعنى بلوغ الغاية أو مشارفتها، وأن غاية الأديب هي الإقناع والتأثير معًا، فبلوغ الشاعر هذه الغاية وتميزه على أقرانه لا يتم إلا بابتداعه، أي: إتيانه بالبديع الدَّالّ على تفوقه على أقرانه في المعنى الشعريّ"(٣٢)؛ لذا كان عبد القاهر الجرجانيّ حريصًا على المعنى، ويرى أنه الأساس في البلاغة بوجه عام، وفي البديع بشكل خاص، يقول: "أما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع، فلا شبهة أنَّ الحُسْنَ والقُبْح لا يعترض الكلامَ بهما إلا من جهة المعاني خاصة، من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب، أو يكون لها في التحسين، أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب"(٣٣).

إنما تأتي الألفاظ من أجل الوصول إلى المعاني المستنبطة من ورائها، وقد أشار بعض المحدثين إلى هذا، يقول هـ ب . تشارلتن: "أول طابعٍ يُميِّز الشاعر من سائر الناس قدرته على أن يستخرج من اللفظة المُعيَّنة عددًا من المعاني يعجز عن استخراجه سائر الناس"(٣٤).

إن الذي يفكِّر دائمًا باستخراج الجديد من المعاني لا يخلق فقط محسنات بديعية، وإنما هو يقدم في الوقت ذاته حججًا إقناعية، "إن الاستعمال العادي للغة . الذي يكرر كل ما هو معطى وموجود مُسْبقًا . يحول القول إلى نفق مسدود، لكن

(ISSN: 2536 - 9555)

الابتكار أو الخلق هو الذي يفتح الأفق أمام الاختلاف والتجديد"[٣٥]، ويُفترض أن يرتبط الحجاج بالمعاني المبتكرة.

ما دام للبديع هذا الدور الحجاجي، فهل انتبه نقادنا القدامى لما يقوم به البديع من خدمات للغتنا وأدبنا، لقد نشأت قضية البديع في الإبداع والنقد العربي القديم، وأحدثت صراعًا أدبيًّا كبيرًا، وانقسم النقاد فيه بين مؤيد ومعارض، "منهم من تعصَّب للبديع، وغالى في طلبه، وحثَّ الشعراء عليه، وجعل إعجابه وتقديره للذي يملأ شعره بألوان البديع، ومنهم من يضيق بالزخرف اللفظي، ويُشبِّه المحسنات بالخِيلان[٣٦] التي تزين جمال وجه المرأة"[٣٧].

لكن ذلك لا يمكن أن ينفي الدور الحيوي الذي قام به البديع في ثقافتنا الأدبية، وقد اهتم هؤلاء النقاد باستكشاف الصلة بين البديع الدائر على الألسنة وتراثنا الأدبي، وكان تصورهم "أن البديع يحفظ قِيَمَ أمتِنا العربية"[٣٨]، ومع ذلك لم يحظَ البديع بما حظي به علمَا البيان والمعاني من اهتمام الباحثين في العصر الحديث، وربما قيل لك: إن من أقطاب البلاغة أمثال عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وغيرهما مثلًا لم يهتموا بالبديع، ولم يجعلوا منه علمًا قائمًا بذاته، كما فعلوا بعلمي البيان والمعاني، ويمكن الرد على ذلك بأن مباحث البديع، في الحقيقة، من أعظم كشوفات البلاغة القديمة، و"ذلك على الرغم مما لقيته هذه المباحث من اعتراضات تُزَيّفها أحيانًا، وتُظْهِرُها كعامل إفساد للدرس البلاغيّ والنقديّ أحيانًا أخرى، مع أن معاودة النظر فيها يكشف لنا الإمكانات التشكيلية التي تتوفر فيها، والتي تتصل بالصياغة الأدبية في مستوياتها المختلفة"[٣٩].

من هذا المنطلق جاءت فكرة هذه الدراسة؛ لاستخراج الجوانب الحجاجية من المحسنات البديعية المعنوية عند أحد علماء البلاغة، وهو ابن الناظم، ومن الدراسات التي تتصل بهذه الدراسة كتاب الدكتور شكري المبخوت عن الاستدلال البلاغي حيث درس هذه الظاهرة عند عبد القاهر الجرجاني والرازي والسكاكي وشُرّاح التلخيص، ثم ختم الكتاب بتحليل استدلالي لظاهرة بلاغية واحدة، وهي المذهب الكلامي، مستشهدًا على ذلك بالحجاج في قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا) الأنبياء ٢٢، ولكنه لم يتطرق لدراسة بقية المحسنات البديعية، ولا لدراسة كتاب المصباح لابن الناظم أيضًا.

دور محمد بن مالك (ابن الناظم) في علم البديع

يُعَدُّ كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (٥٥٥-٦٢٦هـ) من أفضل الكتب التي تناولت علمي المعاني والبيان، وبعدما انتهى من شرح موضوعات هذين العلمين في القسم الثالث من كتابه، قال: "إذ قد تقرَّر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقِّيه أعلى درجات التحسين، فهاهنا وجوه مخصوصة كثيرًا ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى، وقسم يرجع على اللفظ"(٤٠)، وهو يقصد بذلك ما سُمِّي بعده بعلم البديع بقسميه: اللفظي والمعنوي، "على أن السكاكي بإفراده وجوهًا مخصوصة لا تندرج تحت علمي المعاني والبيان، قد مهَّد لوجود علم ثالث للبلاغة يختص بهذه الوجوه"(٤١)، وهو علم البديع، فهذه الوجوه المخصوصة هي موضوعات علم البديع أو المحسنات(٤٢).

ولا تزال بلاغة السكاكي التي طرحها في هذا القسم من كتاب المفتاح، وما تبعها بعد ذلك من مؤلفات مختصِرة أو شارحة أو معلِّقة عليه، تشكل التصور السائد للبلاغة العربية حتى الآن، وإن كان ذلك لا يمنع من وجود المادحين والقادحين لهذا التصور في الوقت نفسه، وقد سمّاها مجدي توفيق بالبلاغة المستقرة، "على الرغم مما ناله هذا الاستقرار من نقد وإزعاج، ذلك أن هذه البلاغة لا تزال تُدَرَّس إلى اليوم في أنحاء كثيرة من العالم العربي"(٤٣).

وقد تبع مفتاح العلوم عددًا كبيرًا من الكتب الدائرة في فلكه، فبعضهم وجد هذا الكتاب يحتاج إلى تلخيص، وبعضهم رأى أن التلخيص يحتاج إلى شرح، والشرح يحتاج إلى حاشية وهكذا، ويعدُّ بدر الدين محمد بن مالك المعروف بابن الناظم (٦٤٠هـ- ٦٨٦هـ) في كتابه (المصباح في المعاني والبيان والبديع) هو أول من اختصر ولخّص القسم الثالث من كتاب السكاكي في الديار المصرية، و"بذلك يكون ابن مالك أول تلميذ من تلاميذ السكاكي في هذه الديار"(٤٤)، كما أنه . فيما أعلم . أول كتاب يضع علوم البلاغة الثلاثة في عنوان كتابه، وقد فرَّق بين كل علم من هذه العلوم تعريفًا وموضوعات . إلى حد كبير . في ثنايا كتابه(٤٥).

كما تحدث ابن الناظم في مقدمة كتابه عن البلاغة والفصاحة، وأدخل ما يخصُّ علم البديع ربما للمرة الأولى في تعريف البلاغة الذي كان يُقتصر فيه

(ISSN: 2536 - 9555)

عادة على علمي المعاني (المطابقة) والبيان (الوضوح)، حيث جعل (التزيينَ)، وهو ما يخص البديع ضمن التعريف، يقول عن علم البلاغة: "يُحْتَرَزُ به عن الخطأ في تطبيق الكلام لمقتضى الحال، من تأدية تمام المراد على وفق ما يقتضيها من وضوح الدلالة أو خفائها، ومن تزيين العبارة بما يورث مزيد قبولها واستجلائها"(٤٦).

وعلى الرغم من سبق ابن الناظم للقزويني في تلخيص المفتاح فإن تلخيص القزويني (٦٦٦هـ-٧٣٩هـ) وشروحه(٤٧)، قد كُتب له الذيوع والانتشار أكثر من أي كتاب آخر، "بحيث أصبح هو وتلك الشروح المادة الأساسية لتعليم البلاغة في كل البيئات المعنية بالعربية على اختلاف الأقطار وتفاوت الأمصار"(٤٨).

لكن كتاب المصباح كان له دور أساسيّ في علوم البلاغة بصفة عامة، وفي علم البديع بصفة خاصة، ففي هذا الكتاب جعل ابن الناظم المحسنات البديعية المعنوية قسمين: **فمن القسم الأول:** المذهب الكلامي، والتتميم، والتقسيم، والاحتراس وغيرها، **ومن القسم الثاني:** اللف والنشر، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق وغيرها(٤٩)، لكن ابن الناظم لم يضع حدًّا واضحًا بين هذين القسمين من المحسنات المعنوية، ولم يأخذ البلاغيون بهذا التقسيم(٥٠) فيما بعد، وإنما اكتفوا بالتقسيم الثنائي للمحسنات بين اللفظ والمعنى فقط.

وعلى الرغم من كثرة الشواهد التي أوردها ابن الناظم على الفنون البلاغية بصفة عامة، فإن كتابه يعد صورة مصغرة لمفتاح العلوم، وهو وإن لم يخرج عن منهج السكاكي في علمي المعاني والبيان، فالأمر مختلف بالنسبة لعلم البديع، فقد "كان بحثه فيه أدقّ من بحث السكاكي وأكثر طلاوةً واتساعًا"(٥١).

ولعل أهم شيء تميّز به كتاب المصباح عن مفتاح العلوم هو توسع ابن الناظم أيضًا في المحسنات البديعية، فقد ذكر منها أربعة وخمسين نوعًا، على حين ذكر السكاكي منها ستة وعشرين فقط. ولا ريب أن ابن الناظم كان متأثرا في ذلك برجال البديع في عصره، فقد توسعوا في إحصاء أنواع المحسنات حتى تجاوزوا بها المائة، وسنخصص هذه الدراسة للقسم الأول من المحسنات المعنوية الخاصة بالإفهام والتبيين عند الناظم، وهي على الترتيب:

حسن البيان والإيضاح والمذهب الكلامي والتبيين والتتميم والتقسيم والاحتراس والتكميل والتذييل والاعتراض والمبالغة والإيغال والتكرار والاستطراد والتجريد والتفريع وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتعليل، والتهكم.

إن دراسة هذه النماذج من المحسنات المعنوية هي محاولة لإثبات ما تنطوي عليه من وسائل حجاجية مما يؤكد الدور الذي تقدمه هذه المحسنات لفن القول من ناحية، وما تؤديه من أغراض اتصالية مهمة جدًّا للغة ودلالتها الإقناعية من ناحية أخرى، ومن ثم يتضح خطأ التصور الذي يرى أن هذه المحسنات هي مجرد أدوات للزينة الجمالية فحسب(٥٢)، ومن ثم يمكن الإفادة من التقدم الملحوظ في العلوم اللسانية وغيرها من المناهج الجديدة في توسيع آفاق البحث البلاغي بما يشمل المطابقة ووضوح الدلالة والتحسين، مما ينفي انحصار وظائف البديع في الجانب الجمالي، "وما وظائف التحسين سوى وسائل لتحقيق التواصل والإقناع، وضمان توصيل الرسالة إلى المخاطب أو المتلقي، وهو ما جددت البلاغة الغربية الوعي به فاتسع حقلها"(٥٣)، وجدير ببلاغتنا العربية أن يكون لها ذلك النصيب من الشمول والإحاطة بما يثري البحث البلاغي العربي، ويزيد من دائرة النصوص التي تخضع للتحليل الحجاجي.

ويشير محمد العمري إلى أهمية البعد الحجاجي حيث يقول: "إن هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه، وإنَّ تَخَلِّي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضييق مجالها"(٥٤).

اهتم قدامى البلاغيين العرب بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ليس في علم المعاني فقط ـ كما هو معروف عند الكثيرين– ولكن في علمي البيان والبديع كذلك، فموضوعات العلم الأخير تَحْسُن إذا استعملت استعمالًا صحيحًا، وتَقْبُح إذا لم تطابق مقتضى الحال، وهذه المطابقة تشمل بحوث البلاغة كلها(٥٥) بما فيها المحسنات البديعية اللفظية، يتضح ذلك من حديث عبد القاهر الجرجاني عن بعض هذه المحسنات مثل السجع والجناس حيث يُدخل هذه المحسنات في المطابقة؛ لأنها من مقتضيات المعنى، يقول: "تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضي اختصاصَ هذا النحو بالقبول هو: أن المتكلم لم يَقُد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، وعَبر به الفرق عليهما، حتى إنه لو رام تَرَكَهُما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه، ولا سجع، لدخل من عقوق المعنى،

(ISSN: 2536 - 9555)

وإدخال الوحشة عليه، في شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكرَهِ، والسجع النافر "[٥٦].

وإذا كانت مطابقة الحال تعتبر جوهرية في بحوث البلاغة العربية فإنها بذلك غير بعيدة عن النظريات اللسانية والبلاغية والتداولية المعاصرة[٥٧]، حيث تعد مراعاة المقام من الشروط الأساسية في إنتاج الخطاب الإقناعي، ولكن ثمة خلاف في البلاغة الغربية بين حجاج بيرلمان وتيتيكاه وحجاج ديكرو وأنسكومبر حيث "اعتبر المؤلفان (بيرلمان وتيتيكاه) أن أنجع الكلام في الحجاج ما جاء على قدر المقام"[٥٨]، أما ديكرو وأنسكومبر فلا يربط بين الحجاج والمقام، فالحجاج عندهما يرتبط بتوفر شروط محددة في القضية الأولى؛ لتؤدي إلى القضية الثانية، "لذلك فإن الحجاج مسجل في بنية اللغة ذاتها، وليس مرتبطًا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية"[٥٩].

الحجاج والمحسنات المعنوية عند ابن الناظم

لقد فطن البلاغيون القدامى للبعد الحجاجي في تعريفات البلاغة، "أما درس الآليات التي يحقق بها كل شاهد من شواهد البيان والمعاني والبديع قيمته البلاغية باعتبار البلاغة تبليغ المعنى وإيصال حجة المتكلم إلى السامع، فهذا مما لا نكاد نعثر عليه إلا عرضًا حتى تحولت كتب البلاغة إلى قوائم في وجوه البيان والمعاني والبديع لا روح فيها، ولا حياة"[٦٠].

تبارى البلاغيون بعد عبد الله بن المعتز في الوصول إلى محسنات بديعية أكثر لدرجة زادت فيها المحسنات زيادة مفرطة بشكل يصعب فيه حتى على المتخصص في البلاغة أن يحيط به، من هنا جاءت بعد محاولات المحدثِين لتقليل هذه المحسنات، وضم النظير إلى النظير، وكذلك عدم التوسع في أنواع المحسن البديعي الواحد، يقول أحمد فشل: "نحرص على جمع وجوه البديع التي تعالج قضية واحدة، وندرسها متتابعة مثبتين عقمَ التقسيم المنطقي الساذج الذي قسم علم البديع بناء عليه إلى قسمين هما: البديع اللفظي، والبديع المعنوي"[٦١]؛ إذ لا يصح الفصل بين الشكل والمضمون؛ لأن اللفظ لا يأتي من وادٍ، والمعنى يأتي من وادٍ آخر، والعلاقة بينهما تلازمية كالعلاقة بين الروح والجسد[٦٢]، ولربما كان هدف البلاغيين من هذا التقسيم الثنائي للمحسنات هو تقسيم من أجل الدراسة، بحيث لا يعني ذلك أن تكون المحسنات اللفظية خالية من أية علاقة بالمعنى أو العكس، و"لكننا يجب أن نلحظ أن ما يرجع من هذه الألوان إلى اللفظ لا يزيد عن

كون ذلك مزيد ارتباط بالإطار، ولا يعني ذلك فقدان الارتباط بالمضمون، وكذلك ما يرجع من هذه المحسنات أو الألوان إلى المعنى لا يزيد عن كونه مرتبطًا بمزيد من الارتباط بالمضمون، ولا يعني فقدان ارتباطه بالإطار"(٦٣).

وإذا كان ابن المعتز قد أخذ على أبي تمام الإفراط في استخدام البديع، فإن البلاغيين قد أفرطواأيضًا من بعد ابن المعتز في تعداد المحسنات بغض النظر عن تأثيرها البلاغي ودورها التعبيري في أداء المعنى، و"ينبغي أن تبحث موضوعات البديع كما تبحث موضوعات البلاغة الأخرى على أن تهمل الأنواع التي ليس لها تأثير في التعبير، ولا تبعث في الكلام رونقًا وطلاوة وتضفي عليه جمالًا وبهاء، وترتب الباقية وتهذب مسائلها بحيث تكون مناسبة للأساليب العربية وكلام البلغاء"(٦٤).

وإذا كانت المحسنات البديعية منها ما يقوم بدور جمالي إمتاعي، ومنها ما يقوم بدور تأثيري إقناعي، كما أوضحت الدراسة من قبل، فإننا يمكن كذلك أن نقسِّمَ المحسنات حسب وظيفتها الحجاجية، بحيث تُرتَّب المحسنات المعنوية الواردة عند ابن الناظم إلى مجموعات حسب الوظيفة الحجاجية التي يقوم بها المحسن أو مجموعة من المحسنات، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المحسن البديعي الواحد، على سبيل المثال، يمكن أن يأتي في سياق الكلام ويكون غرضه التوكيد مرة، ويرد في سياق آخر ويصير هدفه رفع الغموض عن المعنى مرة أخرى وهكذا، وفيما يلي تقسيم المحسنات حسب الأغراض الحجاجية لها:

أولا: محسنان يستخدمان الحجة والتعليل.

١-المذهب الكلامي

ثمة اتجاهان يمكن التمييز بينهما في البلاغة العربية، اتجاه يبحث في فنية العبارة وإمتاعها، واتجاه آخر يركز على الحجة وإقناعها، و"من أهم الظواهر الدالة على البعد الحجاجي في البلاغة العربية تلك المصطلحات التي يغلب عليها طابع البرهان والحجاج والإقناع"(٦٥)، ويعدُّ المذهب الكلامي في طليعة هذه المصطلحات.

وعلى الرغم من أن ابن المعتز اعتبر المذهبَ الكلامي البابَ الخامس من أبواب البديع إلا أنه أسند إطلاق المصطلح إلى الجاحظ، يقول ابن المعتز: "هو

(ISSN: 2536 - 9555)

مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهبَ الكلامي"[٦٦]، ومنذ ذلك الحين دأب البلاغيون على دراسة هذا المحسن، واستشهدوا له من القرآن والشعر والنثر، والحقيقة أن اعتبار المذهب الكلامي من أبواب البديع الخمسة يعطي أهمية كبيرة لهذا المحسن، ومن ثم يمكن جعله أسلوبًا من أساليب البلاغة بحيث لا ينحسر في محسن بديعي واحد، ولعل هذا هو الذي دعا ابن حجة الحموي إلى قوله: "المذهب الكلامي نوع كبير"[٦٧].

ولا شك أن لكل عصر طابعه الخاص، وهذا له أثره في العلوم التي تظهر لمعالجة القضايا الشائكة في هذا العصر، وقد نشأت الخلافات الفكرية والعقدية في عصور الإسلام الأولى لأسباب كثيرة مما أثّر بدوره في علوم البلاغة بصفة خاصة، وعلى العلوم الإسلامية بصفة عامة، "إن علمًا قائم الذات نشأ من الخلاف حول أصول الاعتقاد، وكان مما يطلب من المنتمين إليه أن تكون لهم قدرة على المخاصمة والمقارعة والظهور على الخصوم بالحجة لبيان فساد رأيهم وتهافت معتقدهم، وهو علم الكلام الذي رأى فيه أنصاره أحكم أداة للذَبّ عن العقيدة وتخليصها من دَرَن الشرك"[٦٨]، من هذا المنطلق استمد علم البلاغة بعض أدواته من علم الكلام؛ ولذلك اشترط البلاغيون في تعريفهم للمذهب الكلامي أن تكون الحجج المستخدمة فيه (على طريقة المتكلمين).

من هنا عرّف ابن الناظم المذهب الكلامي بقوله: "أن تورد مع الحكم ردًّا لمنكره حجة على طريق المتكلمين"[٦٩]، وثمة توافق بين تعريف البلاغيين القدامى لهذا المحسن، وتعريف الحجاج عند الغربيين، فالحجاج عند بيرلمان وتيتيكاه "هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"[٧٠].

أما من وجهة نظر ديكرو وأنسكومبر فحين نصِفُ خطابًا ما بأنه حجاجي، "فذلك معناه أن هذا الخطاب يحتوي ملفوظين اثنين على الأقل، حيث يقوم أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر، فيسمى الأول حجة، والثاني نتيجة"[٧١]، فالحجاج والمذهب الكلامي نوع من القياس الخطابي بين مقدمة ونتيجة، ومن ثم، "فالتطابق بين تعريف الحجاج (على ما هو عند ديكرو وأنسكومبر) وتعريف المذهب الكلامي يكاد يكون تامًّا"[٧٢].

اتضح مما سبق أن ثمة صلة وثيقة بين المذهب الكلامي عند البلاغيين العرب حيث ارتبط عندهم بظهور الخلافات السياسية والمذهبية، والحجاج في المدارس الغربية الحديثة، حيث "لا يمكن أن يوجد حجاج إلا بوجود خلاف حول موقف، أي مواجهة خطاب بخطاب معاكس"(٧٣).

ويرى ابن الناظم أن المذهب الكلامي نوعان، يقول: "ينقسم إلى منطقي وجدلي، فالمنطقي ما كانت حجته برهانًا يقيني التأليف قطعي الاستلزام، والجدلي ما كانت حجته أمارة ظنية لا تفيد إلا الرجحان"(٧٤)، وقد أورد السبكي في شرحه لتلخيص المفتاح كلام ابن الناظم عن المذهب الكلامي، كما ذكر اعتراضًا على الحجة الظنية وردّ هذا الاعتراض، حيث يرى السبكي أن الحجة قسمان: الأولى: القطعية، والثانية: الظنية، فالحجج "إما قطعية الاستلزام، فهو منطقي، أو ظنية فهي جدلية، غير أنه قد يقال: أهل الكلام مطالبهم قطعية فكيف تُسَمَّى الحجة الظنية كلامية؟ وجوابه أنهم ربما يذكرون الحجة الظنية؛ ليحصل من مجموعها القطع"(٧٥).

بعد ذلك ذكر ابن الناظم شواهد على المذهب الكلامي في القرآن، من ذلك قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) الروم (٢٧)، "تقديره والأهون أدخل في الإمكان، وقد أمكن البدء فالإعادة أدخل في الإمكان من بدء الخلق"(٧٦).

ومن أمثلة المذهب الكلامي في الشعر عند ابن الناظم قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر:

حَلفتُ فلم أتركْ لنفسكَ ريبةً ... وليسَ وراءَ الله للمرءِ مهربُ
لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغت عنّي خيانة ... لَمُبلِغكَ الواشي أغشُّ وأكذَبُ
ولكنني كنتُ امرأً ليَ جانبٌ ... منَ الأرضِ فيه مُسْتَرادٌ ومذهبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتُهم ... أحكّم في أموالهم وأقرَّبُ
كَفِعلكَ في قومٍ أراكَ اصْطَنَعْتَهُم ... فلم تَرهُم في مَدْحِهم لكَ أذنَبُوا

(ISSN: 2536 - 9555)

كان النعمان بن المنذر من ملوك الحِيرة في العراق قد تعود على مدح النابغة له، ثم ذهب النابغة لمدح آل جفنة من ملوك الشام، فغضب عليه النعمان، فكتب النابغة قصيدة يعتذر فيها للنعمان، مستخدمًا المذهب الكلامي في صورة قياس التمثيل، حيث تستلزم المقدماتُ المسلمةُ النتائجَ، أو اللازمُ الملزومَ، فهذا القياس "حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها"(٧٧)؛ لكي تعمل الحجة ينبغي أن يكون الطرف الخارجي المقترح لتكوين التماثل مقبولًا مسبقًا من المتلقين باعتبارهم من جماعية لغوية لها خصائص فكرية متقاربة، ومن ثم، يحدث اتفاق بينهما على المُمَثَّلِ به، حيث "يستدعي التماثل في الغالب رصيدًا ثقافيًّا مشتركًا"(٧٨).

لقد أراد الشاعر أن يقول للنعمان: "أنتَ أحسنتَ إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إليّ قومٌ فمدحتهم، فكما أن مدح أولئك لك لا يعد ذنبًا، كذلك مدحي لمن أحسن لي"(٧٩)، ويرى أحمد إبراهيم موسى أن المذهب الكلامي يكون فيه التعليل حقيقيًّا كما في هذا الباب، أما في المحسن التالي فيكون التعليل خياليًّا، وكلاهما من البلاغة في الصميم(٨٠).

٢ – التعليل

يرى ابن الناظم أن التعليل هو "أن تقصد إلى حكم فتراه مستبعدًا لكونه غريبًا أو عجيبًا أو لطيفًا أو نحو ذلك، فتأتي على سبيل التطرف بصفة مناسبة للتعليل، فتدعي كونها علة للحكم؛ لتوهم تحقيقه، فإن إثبات الحكم بذكر علته أروج في العقل من إثباته بمجرد دعواه"(٨١)، **ومن أمثلة التعليل عند ابن الناظم قول مسلم بن الوليد:**

يـا واشِـيًا حَسُـنَت فِينـا إِسـاءَتُهُ نَجّـى حِـذارُكَ إِنسـاني مِـنَ الغَـرَقِ

لا يُنكر أحد أن فعل الواشي مذموم، ومع ذلك فقد حسَّنه الشاعر، وهذا أمر مستغرب، ولمَّا أتى الشاعر بما يستبعد صدقه، أراد أن يُعَلِّلَ ذلك فاستدلّ في الشطر الثاني على صحته بدعوى أن الخوف من الواشي كان سبب امتناعه من البكاء، وحفظ عينيه من العمى، فنجاةُ إنسانِ عينِ الشاعرِ من الغرَقِ كان علَّةَ تحسين إساءة الواشي.

ثانيًا: محسنات لإزالة اللبس

هناك مجموعة من المحسنات هدفها الأساسي إزالة الغموض المعنوي، واللبس الذي قد ينتج من توجيه الخطاب إلى وجهة لا يريدها المتكلم، أو لا يرغب من المخاطَب أن يفهم الكلام بطريقة لا يقصدها؛ فاللغة حمّالةُ أوجُهٍ في كافة مستوياتها، "إن اللغة الطبيعية ملتبسة، ويتجلى هذا الالتباس في كل مستويات بنية الملفوظات: تركيبية ومعجمية وصوتية... ويقتضي البحث عن الصدق أن يتحرَّى المرءُ اللغةَ حتى يُزيلَ منها كلَّ إمكانية للالتباس"(٨٢).

إن إزالة الالتباسات تمثل الشغل الشاغل للغة، ولذلك لا يمكن لها أن تؤدي الحقيقة أداءً صائبًا إلا إذا خضعت لضوابط تضمن وحدة المعنى(٨٣)، كان طبيعيًّا والأمر كذلك أن تستخدم اللغة أساليب حجاجية لمنع الالتباس، وتحاشي الوقوع في الخطأ، "إن غاية النشاط الحجاجي هو إقامة إجماع وفسخ اختلافات الآراء، فالتنافر علامة النقص أو الخطأ، والحجاج وسيلة لإدماج الانشقاق بإزالة رأي من الآراء المتنازعة عن طريق العقل"(٨٤)، أَضِفْ إلى الغموض اللغوي طبيعة الموضوعات التي يحدث الحجاج فيها عادة، إذ يجمع البلاغيون منذ أرسطو حتى مايير على أن الحجاج لا يكون حول الشيء البدهي، ولا تذكيه الردود الحرفية لمسارات الأسئلة، وأنه يعضد أو يفند أوضاعًا سابقة، ويروم تقديم منظور مغاير(٨٥).

من هنا جاءت مجموعة من المحسنات البديعية عند ابن الناظم؛ لتزيل اللبس عن اللغة بمستوياتها المختلفة، وعن الموضوعات الحجاجية المتنوعة، هذه المحسنات يمكن أن نجمعها في وحدة خاصة بإزالة اللبس، وهذه المحسنات هي: الإيضاح، والتبيين والتتميم والاحتراس والتكميل والاعتراض.

١-الإيضاح

يرى ابن الناظم أن الإيضاح هو "أن ترى بكلامك لبسًا لكونه موجهًا أو خفي الحكم، فتعمده بكلام يوضِّحه، ويبيِّن المراد"(٨٦)، فهناك غموض في الدلالة يحتم على المتكلم أن يُتبِعَه بإزالة له عن طريق التركيز على الفكرة والإبانة عنها، ويرى بيرلمان وتيتيكاه "إن المحاجة تفترض أن هنالك فكرة ما ينبغي تدقيقها والتشديد عليها، وبدون ذلك التدقيق والتشديد تبقى غامضة وغير واضحة بما فيه الكفاية، فلا يمكن فرضها على المتلقي الفرض القوي الذي ينبغي أن تفرض به"(٨٧).

(ISSN: 2536 - 9555)

ويضرب ابن الناظم مثالًا على ذلك بقول ابن حيوس:

وَمُقَرْطَــقٍ يُغْنِــي النَّــديمَ بِوَجهِــهِ عَــنْ كَأْسِــهِ المَــلأى وَعَــن إِبريقِــهِ

فِعْــلُ المُــدامِ وَلَونُهــا وَمَــذاقُها مِـــن مُقْلَتَيْـــهِ وَوَجْنَتَيْـــهِ وَرِيقِـــهِ

المُقرطق: لابس القُرْطَقِ، أي: القَباء، وهو نوع من الثياب، والمعنى في البيت الأول ملتبس؛ لأن قوله: (يُغْنِي النَّديمَ بِوَجهِهِ) عن الخمر، يحمل معنى أن وجهه ليس حسنًا، وهذا المعنى غير مراد، فلما ذكر البيت الثاني أزال الإشكال، وأوضح المعنى المراد، حيث شبَّه تأثير مقلتيه بتأثير الخمر، وشبَّه لون وجنتيه بلونها، وشبَّه ريقه كذلك بمذاقها، فالحجاج بالتشبيه في البيت الثاني أزال المعنى الغامض في البيت الأول.

٢-التبيين

يُسمِّيه بعض علماء البلاغة تفسيرًا[٨٨]، وهو عند ابن الناظم تفسير الخفيّ، "وهو أن يكون في مفردات كلامك لفظٌ مُبْهَم المعنى لكونه مطلقًا أو غير تام التقييد، مرادًا به بعض ما نتناوله، فتُتْبعه ما يُفسره، ويشرح معناه من وصف فيه تفصيل"[٨٩]، حيث يأتي الشاعر في أول البيت بلفظ لا يُفْهَم معناه دون أن يفسر، إما في بقية البيت، أو في البيت الآخر، "وهو ضربان: الأول: تبيين أحد ركني الإسناد بالآخر"[٩٠].

كقول محمد بن وهيب في مدح أبي إسحاق المعتصم:

ثَلاَثَــةٌ تُشْــرقُ الــدُّنيَا بِبَهْجَتِهَــا شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ

فقوله: (ثَلاَثَةٌ تُشرقُ الدُّنيَا) مبهم وهو مبتدأ، أو خبر مؤخر عند البعض، وتفسيره وبيانه إنما وقع في الشطر الثاني، أي في الركن الثاني من الإسناد، وهو (شَمْسُ الضُّحى وأبو إسْحاقَ والقَمَرُ).

وبعد ذلك ذكر ابن الناظم الضرب الثاني، وهو "تبيين أحد ركني الإسناد أو غيره بالنعت أو نحوه"[٩١]، **ومنه قول ابن الرومي:**

آراؤكُــمْ ووُجُــوهُكُمْ وسُــيُوفُكُمْ فِــي الحادثــات إذا دَجَــوْنَ نُجُــومُ

فِيهــا مَعــالمُ للهُــدَى ومَصــابِحٌ تَجْلُــو الــدُّجَى والأُخْرَيــات رُجُــومُ

فشبه الشاعر آراء ممدوحيه ووجوهم وسيوفهم بالنجوم وقت النوائب المظلمة، والنجوم هنا تحتاج إلى شرح وتوضيح، فشرح ذلك في البيت التالي حيث فصّل وجه الشبه فجعل "فِيها مَعالمُ للهُدَى" وصفًا للآراء، "ومَصَابِحٌ تَجْلُو الدُّجَى" وصفًا للوجوه، "والأخريات رُجُومُ" وصْفًا للسُّيوف، ويسمِّي العلوي ما في هذين البيتين من المحسنات تنبيهًا، وجعل فيهما تتميمًا أيضًا(٩٢).

٣-التتميم

يرى ابن الناظم أن التتميم ضربان: **الأول:** تتميم المعاني، **والثاني:** تتميم الألفاظ، وعرّف تتميم المعاني بقوله: "هو تقييد الكلام بتابع أو فضلة أو نحوها لقصد المبالغة أو الصيانة عن احتمال الخطأ"(٩٣)، واستشهد ابن الناظم عليه بقول طرفة بن العَبْد يمدح قتادة بن مسلمة الحَنَفِيّ:

فَسَــقى ديــارَكِ غيْــرَ مُفْسِــدِها صَــوْبُ الرَّبِيــعِ ودِيمــةٌ تَهْمِــي(٩٤)

في إحدى السنين أجدبت الأرض، وانقطع المطر عن قوم طرفة، فأتوا قتادة فبذل لَهُم، فدعا الشاعر هنا لديار ممدوحه بالمطر الذي يكون بالقدر الذي لا يَزيد عن حاجة الأرض فلا يُغْرِقُها، فقوله: (غيْرَ مُفْسِدِها) فضلة، وهو احتراز يرفع الإيهام الحاصل ممن يدعو على الديار بكثرة المطر؛ ليكون مفسدًا لها، فهذا القول هنا منع الشاعر به أن يفهم أحد المخاطبين عكس ما أراد الشاعر، فاحتاط حتى لا يتحول المعنى الذي يريد أن يُوصِّلَه؛ ليتمّ له المدح.

٤-الاحتراس

يرى ابن الناظم أن الاحتراس هو: "أن تأتيَ في المدح أو غيره بكلامٍ فتراه مدخُولًا بعيب من جهة دلالة منطوقه أو فحواه، فتُرْدِفه بكلام آخر؛ لتَصونَه عن احتمال الخطأ، كما في حديث أم زرعٍ (المَسُّ مَسُّ أرنب(٩٥)، والرِّيحُ ريحُ زَرْنَب(٩٦)، وأَغْلِبُه والناسَ يَغْلِبُ)"(٩٧).

هنا تمدح المرأة زوجها، لكنها لو اقتصرت على قولها: (أَغْلِبُه) لقيل لها: إن رجلًا تغلبه المرأة لضعيف، فزادت: (الناس يغلب) على سبيل الاحتراس، حتى لا يدخل على معنى المدح ما يَنقصُ به المعنى، فيصير قدحًا.

ومن أمثلة الاحتراس عند ابن الناظم أيضًا قول الخنساء:

(ISSN: 2536 - 9555)

وَلَـــولا كَثـــرَةُ البـــاكينَ حَـــولي عَلـــى إِخـــوانِهِم لَقَتَلـــتُ نَفسِـــي

فقد يقول قائل: إن الخنساء هنا قد ساوَت أخاها بالهالكين من الناس، فَلِمَ أفْرَطَت في الجزع عليه؟ فاحترستْ بقولها:

"وَمـا يَبكـونَ مِثـلَ أَخـي، وَلَكِـن أُعَـزّي الـنَّفسَ عَنـهُ بِالتَّأَسّـي"[٩٨]

لقد أوضحت الخنساء في رثائها لأخيها صخر أنه كان يتمتع بصفات ليست عند غيره من أقرانه، فلا يجوز أن تُسوّيَ الآن بينه وبين الآخرين عندما تقول: (وَلَولا كَثرَةُ الباكينَ حَولي)، ولذلك قالت في البيت الذي يليه: (وَما يَبكونَ مِثلَ أَخي)، ومن ثم جاء الاحتراس حتى لا يَفْهَمُ مَنْ لامَها ما يُقلّلُ من شأن فخرها بأخيها وحصر مناقبه الكثيرة التي أدت إلى تفوقه ونبوغه بين أفراد قبيلته ومجتمعه، وإنما هي فقط تتأسَّى بمن حولها حتى لا تفقد عقلها وصوابها.

٥-التكميل

يعرِّف ابن الناظم التكميل بقوله: "أن تأتيَ في شيء من الفنون بكلام تراه ناقصًا لكونه مدخولًا بعيب من جهة دلالة مفهومه، فتُكْمِله بجملة تَرفع عنه النَّقصَ"[٩٩].

قال كعب بن سعد الغنوي:

حَلِـــيمٌ إِذَا مَـــا الحِلْـــمُ زَيَّـــنَ أَهْلَـــهُ مَـعَ الحِلْـمِ فِـي عَـيْنِ العَـدُوِّ مَهِيـبُ

يقول ابن الناظم: "رَأَى أَنَّ وَصْفَ الممدوحِ بمجرد الحلمِ غيرُ وافٍ بالغرض؛ لأن مَنْ لم يعرف منه إلا الحلم ربما طَمِعَ فيه عَدُوُّه، فينال منه ما يُذَمُّ به، فكمَّله بقوله: (مَعَ الحِلْمِ فِي عَيْنِ العَدُوِّ مَهِيبُ)"[١٠٠].

يصف الشاعر ممدوحه بالحلم والطمأنينة، ولكنه مع ذلك ذو هيبة بين الناس، فلا ينال منه أحد، لقد أكمل الشاعر الحلمَ بأنْ جعل ممدوحه مُهابًا، ولا يستطيع أعداؤه أن يستغلوا أناته وصبره فهو حليم عن قدرة، فالشطر الثاني من البيت رفع الاحتمال المتوهم، وكمّل الفائدة، وأزال شبهةَ ضَعْفِ الممدوح وجبنه، وهذا الاحتمال إنْ لم يتم دفعه، فسيؤدي إلى نقيض ما يقصده الشاعر.

وجَمَعَ معظمُ البلاغيين بين مصطلحي الاحتراس والتكميل، يقول الخطيب القزويني عن التكميل: "يُسَمَّى الاحتراس أيضًا"[١٠١]، وما دام المسوّغ الحجاجي

الذي يجعل المتكلم يلجأ إلى المحسنَيْنِ هو العيب الذي يدخل في الكلام فيَفْهم منه السامع معنًى غير مقصود من الجملة، فما المانع من ضمّ المحسنَيْنِ تحت مصطلح واحد؟ مما يؤكد على صحة رأي القزويني ومن رأى رأيه من البلاغيين في هذه القضية.

كما يتداخل التكميل مع التتميم؛ لأنهما يشتركان فى الزيادة من أجل رفع الوهم عما يَحُطُّ من المدح ويُسْقِطُه، غير أن البلاغيين يلحظون بينهما فارقًا دقيقًا يعود إلى البنية العميقة للمعنى؛ حيث إن التتميم إنما يُذْكَرُ من أجل رفع احتمال مُتَوَهَّمٍ، فالتتميم يرفع الخطأ مما ليس ذمًّا، والتكميل يرفع الذّمّ المتوهم إذا لم يُذْكَر، كما يعود إلى البنية السطحية للصياغة، وهو أن التتميم إنما يقال في شيء نقص ثم تُمِّمَ بغيره، بخلاف التكميل فإنه تَامٌّ لم ينقص منه شيء، خلا أنه أُكْمِلَ بِغيره(١٠٢).

٦- الاعتراض

يرى ابن الناظم أن من الاعتراض أن تأتي في أثناء الكلام بكلام يفيد رفع الشك والإغناء عن تقدير السؤال(١٠٣)، **وضرب مثالًا على ذلك قول الرَّمّاح بن ميادة:**

فَلا صَرمُهُ يَبدو وَفي اليَأسِ راحَةٌ وَلا وَصلُهُ يَصفُو لَنا فَنُكارِمُه

"لأن قوله: **(فَلا صَرمُهُ)** يبدو مُشْعِرًا بكونه أحد مطلوبيه، وذلك مما يشك في أمره، ويحرك سامعه لمثل أن يقول: وما تصنع بصرمه؟ فقبل أن يُتِمَّ كلامه قال: **(وَفي اليَأسِ راحَةٌ)**، فجلا الشك وأغنى عن تقدير السؤال"(١٠٤)، كأنّ قائلا معترضًا قد قال للشاعر: ماذا تصنع بالصرم والهجران، فيرد قائلا: لأنه يؤدّي إلى اليأس من المحبوب، وفي اليأس راحة، ومن ثم، فلا حاجة إلى تقدير السؤال.

والعلاقة وثيقة بين الحجاج وإثارة الأسئلة، وثمة نظرية كاملة في الحجاج الغربي الحديث تُسَمَّى نظرية المساءلة عند ميشال مايير، "إن آراء مايير في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية: لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولّد عن ذلك نقاشٌ يُوَلِّدُ بدوره حجاجًا، فالحجاج لديه محايث لاستعمال الكلام؛ لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالًا يستمد منه دلالته"(١٠٥).

(ISSN: 2536 - 9555)

ثالثًا: محسنات للمبالغة

ثمة مجموعة أخرى من المحسنات البديعية هدفها إحداث مبالغة في القضية محل الخطاب، حيث يستخدم المتكلم عدة وسائل حجاجية لإقناع المخاطَب وحمله على القبول بآراء المتكلم عن طريق إثارة المشاعر وتحريك العواطف تجاه هذه القضية، ولا شك أن استعمال اللغة المجازية هو السمة الغالبة في هذه المحسنات، وذلك لما للغة الفنية من دور قويّ في الحجاج والإقناع، وهذه المحسنات هي: المبالغة والإيغال والتجريد والتفريع وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وفيما يلي توضيح لذلك.

١-المبالغة

يعرِّف ابن الناظم المبالغة بقوله: "هي أن يكون للشيء عندك وصف فتريد التعريف بمقدار شدته أو ضعفه، فتدَّعي له من مقدار زيادة الشدة أو الضعف ما يستبعد أو يحيل العقل ثبوته له؛ لئلا يظن بالوصف دون مقدار ما هو عليه في نفس الأمر"(١٠٦).

وللمبالغة علاقة قوية بالحجاج، بل هي سمة فارقة وأساسية تميز خطاب الحجاج عن غيره من بين أنواع الخطابات الأخرى، ومن ثم "تم التمييز بين الخطاب الحجاجي والخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الاستعراضي، استنادًا إلى حقيقة أن الخطاب الحجاجي يصنع ادعاءات للمخاطَب ويسعى لتبريرها"(١٠٧).

ويرى ابن الناظم أن للمبالغة طريقين: الأول: أن يستعمل اللفظ في غير معناه اللغويّ، كما في الاستعارة والكناية وغيرهما من أنواع الصور البيانية، و"ثانيه: أن يشفع ما يفهم المعنى على وجه بما يقتضي فيه تلك الزيادة من ترادف الصفات لقصد التهويل، كما في قوله تعالى: **(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ)**"(١٠٨) النور ٤٠.

ففي هذه الآية زاد سبحانه وتعالى في وصف أعمال الكافرين بالظلمات داخل البحر اللجي، وهو البحر العميق كثير الماء، ولو اكتفَى بذلك لكان المعنى بليغًا، لكنه أرْدَفَه بصفات أخرى **(يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ)**، حيث هناك ظلمات متراكمة، من ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، وكلها تُضاعِفُ من الظلمات المحيطة بالكفار وتماثلها، فهذه الظلمات تشبه ظلمات

الشِّرْك والضَّلال وفساد الأعمال عند الكافر، والتنوع في صفات المُشَبَّه جعل المتلقي يُطَبِّقُ هذه الصفات بالضرورة على المشبه به، مما جعل التهويل يصل إلى ذروته، ومن ثم وصلت الآية إلى كمال البلاغة، وعلى الرغم من أن ابن الناظم لم يتكلم في هذا النوع إلا عن الزيادة في ترادف الصفات فإن في هذه الآية، كما هو واضح، تشبيهًا، ودخول التشبيه الذي هو من النوع الأول عند ابن الناظم في النوع الثاني من المبالغة يؤدي إلى وجود تداخل بين النوعين عنده.

٢-الإيغال

يرى ابن الناظم أن الإيغال من المحسنات المعنوية التي تؤدي إلى توكيد المبالغة وتقويتها، ويعرِّفه بقوله: "أن تأتي في المقطع من البيت أو الفقرة بنعت لما قبله، مفيدًا زيادة المبالغة أو تتميمها"(١٠٩)، وإطلاق الصفات على المحكوم عليه هو نوع من الحجاج، و"من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج اختيار النعوت أو الصفات، فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع"(١١٠)، ويضرب ابن الناظم مثالًا على ذلك بقول الخنساء:

وَإِنَّ صَـــخرًا لَتَـــأتَمَّ الهُـــداةُ بِـــهِ كَأَنَّـــهُ عَلَـــمٌ فـــي رَأسِـــهِ نـــارُ

يقول ابن الناظم: "أوغلت أشدَّ إيغالٍ بقولها: (في رَأسِهِ نارُ) بعد ما جعلته جبلًا عاليًا مشتهرًا بالهداية"(١١١)، فلم تكتفِ الخنساء بجعل أخيها جبلًا، وهو بذلك صورة واضحة لهداية الآخرين، وإنما زادت المعنى بأنْ جعلت فوق الجبل نارًا على سبيل الدخول في المبالغة أكثر، والتعمق في وصف صخر بكونه رمزًا لإرشاد الناس وهداية الحائرين.

٣-التجريد

المقصود بالتجريد أن يُنْتَزَع من أمر ذي صفة أمرٌ آخر مثله في تلك الصفة على سبيل المبالغة في كمال الوصف، وهو عند ابن الناظم "أن تدلَّ على أن الشيء بليغ في وصف بدعوى ما يستلزمه صحة استخلاص موصوف بها منه"(١١٢)، **ومثّل ابن الناظم لذلك بقول ذي الرمة:**

وَشوْهَاءَ تَغْدُو بِي إِلَى صَارِخِ الوَغَى بِمُستَلْئِمٍ مِثْلَ الفَنِيقِ المُرَحَّلِ(١١٣)

أي: تعدو بي ومعي من نفسي لكمال استعدادها، بمستلئم أي: لابس لأمة الحرب.

(ISSN: 2536 - 9555)

يتكلم الشاعر عن ناقته وهي قبيحة المنظر لسعة أشداقها، وهذا مما يستحسن في الخيل المعدة للحرب عند العرب، وهي تُسْرِع به لنجدة المستغيث الداعي إلى المعركة، كما يتحدث الشاعر عن استعداده للقتال استعدادًا تامًّا، حتى انتَزَع من نفسه مستعدًا آخر يلبس الدرع، وهو المستلئِم، فقد جرَّد من نفسه ذاتًا وصفها بذلك، ثم شبّه هذا الشخص بالفَنِيق، وهو الفحل المُكْرَمُ عند أهله، فهم يوفرونه للتلقيح؛ لكي يكون قادرًا على أن ينتج غيره، وبذلك يمكن أن نلمح وجهًا من وجوه الشبه بين الفحل المُنْتِج وبين الشاعر، وهو أنه انتزع من نفسه مستلئمًا جاهزًا، في الوقت الذي حَمِي فيه الوطيس، وكذلك البعير الذي وُضِع عليه رَحْلُه، وأُرسِل مُنْدَفِعًا في رحلته.

ويرى ابن الناظم في كتاب آخر أن في هذا البيت تجريدًا، لكنه يدرجه في علم البيان، وليس البديع(١١٤)، كما أدخلَ ابن الأثير التجريدَ ضمن القسم الثالث من الصناعة المعنوية بعد التشبيه والاستعارة(١١٥)، ومهما يكن من أمر فإن التجريد هو نوع من خطاب النفس أو عن النفس في الباطن، ولكنه في الظاهر خطاب عن الآخر، وهنا تكمن حجاجيته وبلاغته.

٤–التفريع

يعرّفه يحيى بن حمزة العلوي بقوله: "هو عبارة عن إتيانك بقاعدة تكون أصلًا ومقدمة لما تريده من المدح أو الذمّ، ثم تأتي بعد ذلك بتفصيل المديح وتعيّنه بعد إجمالك له أولًا، فالكلام الأول يُؤْتَى به على جهة المقدمة، وبالآخر على جهة الإكمال والتتميم والتفريع لما أصَّلته من قبل"(١١٦)، ولا يُفهم من كلامه عن المدح والذمّ أن التفريع مقصور عليهما، وإنما هو موجود في الغزل والهجاء وغيرهما من الأغراض الشعرية.

ويرى ابن الناظم أن من التفريع "أن تأتي بالاسم منفيًّا بما، وتتبعه بمعظم أوصافه اللائقة به، ثم تخبر عنه بأفعل التفضيل موافقًا لمعنى الأوصاف معدًى بمِن، فيفرع من ذلك مبالغة في مدح المجرور بها أو ذمّه"(١١٧)، **ومنه قول الأعشى:**

ما رَوْضةٌ من رِياضِ الحَزْنِ مُعْشَبةٌ خَضْـراءُ جَـادَ عليهـا مُسْـبِلٌ هَطِـلُ

يُضَاحِكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُـــؤَزَّرٌ بِعَمِـــيمِ النَّبْـــتِ مُكْتَهِـــلُ

يومًـا بأطيـبَ منهـا نَشـرَ رائِحـةٍ ولا بأحســنَ منهــا إِذْ دَنــا الأُصُــلُ

يريد الأعشى أن يقول: إن هذه الروضة التي كثر زهرُها ونباتها واكتمل نموه، وزاد مطرها، ليست بأجمل منظرًا من هريرة صاحبته، ورائحتها ليست بأطيبَ منها، وهذا الأمر من أول اليوم، وحتى العشي، والمقصود طوال الوقت ليلًا ونهارًا، وهذا المعنى من أجمل معاني الغزل.

وقد اهتم بيرلمان وتيتيكاه بالصيغ التعبيرية التي لها دور حجاجي في عرض المعطيات، "من ذلك النفي، فالنفي إنما هو ردّ على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير، فقد كان (برقسون) يرى أن الفكر السالب لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقًا بمواجهة الغير، أي حين يكون مدار الأمر على الحجاج"(١١٨).

٥-تأكيد المدح بما يشبه الذمّ

يعتبر المدح من الأغراض الشعرية الأساسية في الشعر العربي القديم(١١٩)، ولهذا المدح صور مختلفة، فأحيانًا يأتي صريحًا، وأحيانًا أخرى يكون المدح في الظاهر ذمًّا، ولكن باطنه المدح، فيما يُعرف بتأكيد المدح بما يشبه الذمّ، وهو عند ابن الناظم "أن تنفي عن الممدوح وصفًا معيبًا، ثم تُعقبه بالاستثناء فتوهم أن ستُثْبِتَ له ما يُذَمُّ به، فتأتي بما من شأنه أن يذمّ به، وفيه المبالغة في المدح"(١٢٠)، **وقد استشهد ابن الناظم في ذلك بقول النابغة الذبياني:**

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم بهنَّ فُلولٌ من قِراع الكَتائبِ

***

نفى الشاعر العيوبَ عن قومه، ثم استثنى بعد ذلك عيبًا واحدًا، يدلّ للوهلة الأولى على الذمّ، وهو أن سيوفهم بها كسور بسبب كثرة خوضهم للمعارك والحروب، والكسور من العيوب التي أصابت السيوف فعلًا، لكن المتأمل في هذا العيب يجده عين المدح؛ لأنه يقتضي وجود فرسان شجعان يحملون هذه السيوف، ويحاربون بها أعداء قومه، ومن كثرة تكرار الحروب أصيبت تلك السيوف بضعف حدِّها، والشاعر يستخدم ذلك؛ ليستدلّ منه على شجاعة وفروسية مَنْ يمدحهم، مما يجعل المتلقي أشد انتباهًا للمعنى المراد توصيله.

ثمة طريق آخر لاستعمال الذمّ في الأسلوب في حين يظهر لغير المُدقِّقِ أنه مدح، وهنا يتخذ المُحاجج من هذا المدح وسيلة للقدح والهجاء في الباطن، يقول ابن الناظم: "ألحق بهذا النوع تأكيد الذَّمِ بما يشبه المدح"(١٢١)، كقول ابن أبي الإصبع، **ويُنسب أيضًا لابن الرومي:**

خَيْرُ ما فِيهِم وَلا خَيْرَ فِيهِم أَنَّهُم غَيْرُ مُؤثِمِي المُغْتابِ

(ISSN: 2536 - 9555)

حيث أراد الشاعر وصفهم بقلة المعروف، وليس فيهم منه إلا أنهم لا ينكرون على من عاب أحدًا فى مجالسهم، ولا يمنعونه عن ذلك، ومن الواضح أن هذا ليس مدحًا، وإنما هو عين الذمّ لهم؛ إذ كيف لا يرون الغِيْبة شّرًا، وهي من الموبقات.

رابعًا: محسنات للإطناب

أما المجموعة الرابعة فغرضها الإطناب، وهي حسن البيان والتذييل والاستطراد، ومن المعروف أن الإطناب باب من أبواب علم المعاني، وله وسائل متعددة، ليس هذا محل دراستها، ولا شك أن المقام هو الذي يسهم في اختيار الإطناب من عدمه، بمعنى أن الظروف التداولية والحجاجية هي التي تفرض على المتكلم أن يراعيه في سياق خطابه، فيُطيل في الكلام إذا كان الموقف يحتاج إلى ذلك، ويوجز ويختصر إذا تطلب الأمر الإيجاز، ومن ثم توجد علاقة قوية بين الحجاج والإطناب.

١-حسن البيان

يرى ابن الناظم أن حسن البيان "هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة"(١٢٢)، كما يرى ابن أبي الإصبع أن هذا المحسن هو أساس البلاغة؛ يقول: "حقيقة حسن البيان إخراج المعنى المراد في أحسن الصور المُوَضِّحة له، وإيصاله لفهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها؛ لأنه عين البلاغة"(١٢٣)، والحقيقة أن المعنى العام للبلاغة يرتبط بإيصال المعنى إلى المتلقي باللفظ الواضح، يُقال: بَلُغَ بَلاَغَةً: فَصُحَ وحَسُن بيانه(١٢٤)، وغير خافٍ أن تعريف البلاغة عند العرب يجعلها قريبة جدًّا من الحجاج، باعتباره في البلاغة الجديدة مجمل التقنيات الخطابية التي تبلغ المعنى وتوصله إلى ذهن السامع(١٢٥).

أورد ابن الناظم من أمثلة هذا المحسن في الإطناب، قول الحرث الكناني يخاطب عبد الله بن عبد الملك بن مروان، **وهو عامل لأبيه على مصر**(١٢٦):

فـي كفِّـه خَيْـزُرانٌ رِيحُـه عَبَـقٌ مـن كـفّ أروعَ فـي عِرْنِينِـه شَـمَمُ

يُغْضِي حَياءً ويُغْضَى من مَهابتِه فمـــا يُكَلَّـــمُ إلا حـــينَ يَبْتَسِـــمُ

يريد الشاعر أن يقول: إن ممدوحه إذا تكلم كانت العصا في يده كعادة الخطباء عند العرب، وتفوح منه رائحة الطيب، وتبقى هذه الرائحة أيّامًا لا تفارقه،

وهو يجمع إلى ذلك الوجه الفائق في الجمال، وطول الأنف الذي تُكَنِّي به العرب عن الشرف والكرم، ويجمع كذلك بين التواضع الذي يجعله يغضُّ طرفه حياء، والهيبة بحيث يغض الناس أبصارهم عند رؤيته، فلا يجترئون على محادثته إلا حين يبتسم لهم، يقول أبو هلال العسكري: "جعله مهيبًا في السكون والإغضاء، ولو جعله مهيبًا مع الصولة والبطش لما كان كذلك، فهو بليغ جدًّا"(١٢٧)، وعندما تحدث ابن قتيبة عن أقسام الشعر جعل هذين البيتين من النوع الذي حسُن لفظه وجاد معناه، فهو من أفضل أنواع الشعر عنده؛ ومن ثم رأى ابن قتيبة أنه: "لم يُقَل في الهيبة شيء أحسن منه"(١٢٨).

يتضح مما سبق أن هذا المحسن يعتمد على إطالة الكلام لإقناع المخاطب بالحجة التي يريد المتكلمُ التأكيدَ على وصولها إلى القارئ، ويتفق الشعر في ذلك مع الخطابة، و"من هنا كان الخطباء القائم كلامهم على الإيجاز والقصر لا يهزّون القلوب إلا هزًّا خفيفًا، ولا يُؤَثِّرون إلا قليلًا"(١٢٩).

٢- التذييل

يقول ابن الناظم عن التذييل: "أن تأتيَ بعد تمام الكلام بمشتملٍ على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد والتحقيق، لدلالة منطوق الكلام أو دلالة مفهومه"(١٣٠)، فمن النوع الأول قوله تعالى: **(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ)** سبأ ١٧؛ "لأن في المعطوف إعادةً للمعنى إفهامًا للغبي وتقريرًا عند الذكي لاستحقاق العذاب بالكفر"(١٣١)، فالجملة الثانية: (وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ) تقرير وتوكيد وتحقيق لفائدة الجملة الأولى: (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا)، ومعنى الجملتين يدلُّ على أن قوم سبأ إنما استحقوا العذاب بسبب كفرهم، وعدم شكرهم لنعم الله عليهم؛ ومن ثم حدث تبديل لهذه النعم؛ لأنهم لم يشكروا المُنْعِم عليها.

وقد استشهد ابن الناظم على النوع الثاني ببيت النابغة الذبياني:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

لا تَلُمُّهُ أي: لست واجدًا من الأصحاب من لا تحتاج إلى إصلاح شأنه وتهذيب أخلاقه، يقول ابن الناظم: "دلّ بمفهومه على نفي الكامل من الرجال، فحقَّق ذلك وقرَّره بقوله: أَيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ"(١٣٢)، والصديق الحقيقي يلتمس

(ISSN: 2536 - 9555)

لصاحبه العذر، ويقبله على ما فيه من أخطاء؛ لأنه لن يجد شخصًا خاليًا من العيوب، فالاستفهام هنا غرضه الإنكار والنفي.

ويرى أبو هلال العسكري أن هناك نوعًا من المحسنات يعامل معاملة التذييل، وأنه كثير في كلام القدماء، وسمّاه أبو هلال الاستشهاد والاحتجاج، يقول: "مجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتيَ بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته"(١٣٣)، وهذا الكلام لأبي هلال يدلّ دلالة قاطعة على إدراكه لقوة العلاقة بين الحجاج والبديع من ناحية، وبينه وبين التذييل من ناحية أخرى.

٣- التكرار

يعد التكرار أحد الأساليب الأساسية التي يستعملها المتكلم للتأكيد على المعنى الذي يريد إيصاله إلى ذهن المتلقي، مما يشير إلى اهتمام المتكلم بمضمون الجمل المكررة من ناحية، وترك التأثير القوى في المخاطَب من ناحية أخرى، ويرى فيليب بروطون أن "من طرائق عرض الخطاب عرضًا حجاجيًّا اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها"(١٣٤).

وللتكرار عدة أنماط: منها التكرار اللفظي، ويقوم على إعادة الكلمة أو الجملة نفسها أكثر من مرة في موقف واحد، ومنها أيضًا التكرار المعنوي، ولم يذكر ابن الناظم إلا التكرار اللفظي، والتكرار من المحسنات البديعية القابلة للتحول بين بلاغة العبارة وبلاغة الحجاج، و"ليس هذا التكرار مجرد تقنية أسلوبية فهو طريقة في تقديم أطروحة تسمح بإنتاج تأثير البروز، ورؤية الفكرة الواحدة من زوايا عديدة، باختصار إنها طريقة لتأطير الأطروحة"(١٣٥)، فهو يقوم بدور مؤثر في حضور الفكرة وتقويتها.

ويرى ابن الناظم أن ثمة أهدافًا يحققها التكرار، منها التقرير والتعظيم والتنويه وغير ذلك، يقول: "التكرار إعادة اللفظ لتقرير معناه، ويستحسن في مقام نفي الشك"(١٣٦). **كقول الخليفة العباسي المأمون:**

لسَـــاني لسِـــرّي كَتُـــومٌ كَتُـــوم ودمعِـــي بحُـــبّي نَمُـــومٌ نَمُـــوم

إن للتكرار دورًا كبيرًا في تمكين الأفكار في وجدان المخاطبِين، لذلك يلجأ إليه كثير من الأدباء، وإذا كان الشاعر في البيت السابق استطاع أن يُخفي عشقه فلا يتكلم عنه مع أحد، فإن تعبيرات وجهِهِ ودموعِهِ قد فضَحَتْه، و"من يكرر لفظًا أو

فكرًا أو صيغة تكريرًا متتابعًا يحوله إلى معتقد...والتكرار من القوة بحيث يجعل الرجل يؤمن بالكلمات التي يكررها، ويسلم بالأفكار التي يعرب عنها عادة"(١٣٧).

وإنما يُحْمد التكرار إذا جاء مُوافقًا لحال المخاطَب، ودعت الحاجة إليه، وتَطَلَّبَه الموقفُ الذي يُقال فيه الكلام، وهو من أساليب الإطناب التي تلجأ إليها اللغة العربية بكثرة.

٤-الاستطراد

يعدّ الاستطراد سمة من سمات الأسلوب الأدبي شعرًا ونثرًا، ويتيح أسلوب الاستطراد في الشعر التنقلَ بين أغراض الشعر وموضوعاته، حيث يخرج الشاعر من معنى لآخر، كأن يمدح أحدًا، ثم ينصرف إلى الهجاء، ويعود إلى المدح مرة أخرى، ويعرِّفه ابن الناظم بقوله: "أن تكونَ في شيء من الفنون، فتوهم استمرارك فيه، وتخرج منه إلى غيره، ثم ترجع، فإن تماديت فذاك الخروج، ولا بد من التصريح باسم المستطرد به، وأكثر ما يجيء بالهجاء"(١٣٨)، وقال ابن أبي الإصبع: "أحسب أنّ أول من استطرد بالهجاء السموأل"(١٣٩)، **يتضح ذلك في قوله:**

وَإِنّـا لَقَـومٌ لا نَـرى القَتـلَ سُـبَّةً إذا مـا رَأَتـهُ عـامِرٌ وَسَـلولُ

يقرِّبحُـبُّ المـوتِ آجالَنـا لنـا وتكرهُهآجـالُهم فتطـولُ

يمدح السموأل قومه بقدرتهم على قتل أعدائهم، وهم لا يرون في ذلك عارًا، وخرج عن الموضوع بذمِّ قبيلتي عامر وسلول حيث يمثل القتل عندهما عارًا؛ لأنهما يتَّسِمان بالجبن والخوف من محاربة الأعداء، وعلى هذا النحو بنى الشاعر قصيدته حيث سار في معظم أبياتها على النهج نفسه، حيث يمدح قومه بشيء ويذمّ الآخرين بنفيه عنهم، فقد عاد إلى المدح في البيت الثاني، وبيَّن أن قومه شجعان لا يهابون الموت في المعارك، لذلك كانت آجالهم قصيرة، وعلى العكس يَجْبُن أعداؤهم، ويبتعدون عن الحروب، ومن ثم تكون أعمارهم طويلة.

خامسًا: محسن يستخدم السخرية (التهكم).

يعرف ابن الناظم التهكم بقوله: "إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال، استهزاءً بالمخاطَب وغيره"(١٤٠)، وهنا تجدر الإشارة إلى أن البلاغة الغربية تتفق مع البلاغة العربية في هذا الموطن حيث تربط كلتاهما بين التهكم ومراعاة المقام الذي يأتي فيه الكلام، و"معلوم حسب بيرلمان أن سلاح الحجاج هو الهُزء، وليس

(ISSN: 2536 - 9555)

العبث؛ لأن العبث مجاله القضايا المنطقية المجردة، **والهزء مجاله المقال في علاقته بالمقام**"[١٤١]. ومن أمثلة التهكم قوله تعالى: **(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** آل عمران ٢١، وقوله تعالى**(بَشِّرْ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)** النساء ١٣٨، ومنه قوله تعالى أيضًا**(ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)** الدخان ٤٩.

من المعروف أن هؤلاء المنافقين في الدرك الأسفل من النار فكيف يكون هذا المصير بُشرى لهم إلا عن طريق الاستهزاء، بخروج الكلام عن مطابقته لمقتضى الحال، وإذا خرج الكلام عن هذه المطابقة نشأ التهكم.

سادسًا: محسن يستخدم الحجج شبه المنطقية (التقسيم)

يعدُّ التقسيم وسيلة من وسائل اللغة التي يمكن استعمالها في الحجاج، فهو من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية، وله أنواع متعددة، واقتصر ابن الناظم على نوع واحد من أنواعه، وهو "استيفاء أقسام الشيء بالذكر"[١٤٢]، وهذا المحسن يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحجاج، وشرط الحجاج الذي يستخدم هذا المحسن أن يأتي بكلِّ أقسام الشيء، ولا يترك منها قسمًا واحدًا، ومن ثم يكون المطلوب فيه الإحاطة بهذا الشيء من كلِّ جوانبه، "إن الشرط في استخدام الحجة القائمة على التقسيم استخدامًا ناجحًا هو أن يكون تعداد الأجزاء شاملًا، يقول كنتليان في ذلك: إنْ نُسْقِطْ عند تعدادنا الأجزاء فرضيّة واحدة يَهْوِ صَرْحُنا الحجاجيُّ كلُّه، ونصبح ضُحكةً للجميع"[١٤٣].

يقول ابن الناظم عن التقسيم: "أن تتعلقَ نسبة منطوق الكلام أو مفهومه بمعنى له أقسام عندك، أو نفس الأمر، فتورد في الذكر ما يستوعبها من متعلقي تلك النسبة أو مغنٍ عنه، غير مقتصر على ذكر بعض الأقسام، ولا مكتفٍ بالإجمال"[١٤٤].

وهذا الأسلوب من أساليب الحجاج يؤدي إلى شدة حضور الشيء في ذهن المتلقي، "لقد اصطُلِح، في النظرية البلاغية، على هذه التقنية التي تقوم على تطويع موضوع، باسم التفخيم، يتعلق الأمر بوجه من وجوه البلاغة يستعمل تقسيم الكلِّ إلى أجزائه بقصد خلق الحضور"[١٤٥].

ويضرب ابن الناظم مثالًا على ذلك بقول بشار بن برد:

فــراح فريــقٌ فــي الإســارِ ومِثْلُــه قتيــلٌ ومِثْــلٌ لاذَ بــالبحْرِ هاربُــه

يمدح بشار عمرَ بنَ هُبَيْرة، ويصف حال أعدائه، ويبين كيف هُزِمُوا ونُكِّل بهم، واستوعب فاعل (راح) جميع أقسام العقوبة بين أسر وقتل وتشريد فلا رابع لها، ولا زيادة في الهزيمة على هذه الثلاثة، وواضح أنه قضى بذلك على هؤلاء

الأعداء حتى من فرّ منهم فقد لحقه العارُ والخزي، يقول العلوي: "استوعب أنواع التنكيل وتفريق الشمل، كأنه قال: صاروا بين أسير ومقتول وهارب فى البحار لعله ينجو"(١٤٦).

ويضرب ابن الناظم مثالًا آخر لاستيعاب أقسام الشيء الواحد، يقول: "كما استوعب (ما أغنى عن أقسام المفعول له لتهيم) عمر بن أبي ربيعة في قوله:

تَهـيمُ إِلــى نُعـمٍ فَـلا الشَّـمْلُ جـامِعٌ وَلا الحَبـلُ مَوصـولٌ وَلا أنـت تقصـرُ

وَلا قُـربُ نُعـمٍ إِن دَنَـت لـك نـافعٌ وَلا نَأيُهـا يُسْـلِي وَلا أَنـتَ تَصـبِرُ

بدليل أنك لو أتيت بلفظ (لأنه) مكان فاء العطف، كان المعنى صحيحًا"(١٤٧).

تعلق الشاعر هنا بمحبوبته وشُغِف بها، وكان بين حالات ثلاث لا يخرج عنها أي محبٍ، الأولى: عدم اجتماع الشمل، والثانية: عدم اتصال الحبل، والثالثة: أنه جرّب القرب فلم ينفع، وحاول البعد فلم ينسَ، ولم تطب نفسه بعد فراقها، ولذلك جعل ابن أبي الإصبع هذين البيتين من النادر في صحة الأقسام"(١٤٨).

نتائج الدراسة

أمران لا يغني أحدهما عن الآخر، **الأول:** ضرورة الاهتمام بالتراث البلاغي العربي، **والآخر:** أهمية الإفادة من الدراسات اللسانية الحديثة؛ وهذا إنما يتمّ لسببين: مسايرة سُنة التطور العلمي لتحديث الأدوات البلاغية القديمة وإخراج الرصيد الإيجابي المكنون في التراث العربي من ناحية، وتحاشي الوقوع في الرؤية الأحادية من ناحية أخرى، وبعد دراسة المحسنات المعنوية من زاوية حجاجية **اتضحت عدة نتائج نوجز بعضها فيما يلي:**

أولًا: أن البديع الذي اتُّهِم بأنه سبب من أسباب جمود البلاغة هو نفسه يمكن أن يكون سببًا من أسباب نهضتها، لما له من دور حجاجي واضح، فكل محسن من المحسنات السابقة يقوم بهذا الدور على أتم وجه.

ثانيًا: أن معظم الشواهد التي ذكرها ابن الناظم في هذا القسم من كتابه كانت من الشعر، وهذا لا يعني أن الشعر صار ضربًا من ضروب الاستدلال العقلي الصارم، وإنما يدلّ على أن الخطاب الشعري المبني على جمال دلالة العبارة وحسنها الصوتي، هو في الوقت ذاته يستخدم وسائل حجاجية لا تقلّ أهمية عن

(ISSN: 2536 - 9555)

هذا الجمال والتحسين، بل ربما يفوقه أحيانًا لظروف حجاجية يقتضيها سياق الكلام.

ثالثًا: إذا كان الإسراف في البديع يفسد النص الأدبي ويحيله إلى ألغاز لا قيمة لها، فإن الإسراف في سرد الحجج أيضًا يفقد الحجاج قوته وقيمته.

رابعًا: أن الحجاج يمكن أن يقدم حلولًا للتفريعات الكثيرة الموجودة في المحسنات البديعية موضع الدراسة، حيث يمكن تقسيم هذه المحسنات من حيث الوظيفة الحجاجية **التي تقوم بها على النحو التالي:**

١- محسنان يستخدمان الحجة والتعليل، وهما: المذهب الكلامي والتعليل.

٢- هناك مجموعة من المحسنات يكون هدفها الأساسي إزالة اللبس المعنوي من كافة مستويات اللغة، وكان طبيعيًّا والأمر كذلك أن تستخدم اللغة أساليب حجاجية لمنع الالتباس، وتحاشي الوقوع في الخطأ، خاصة وأن الحجاج لا يكون حول الشيء البدهي، وأنه يعضد أو يفنّد أوضاعًا سابقة.

من هنا جاءت مجموعة من المحسنات البديعية عند ابن الناظم لتذيل اللبس عن اللغة وعن الموضوعات الحجاجية المتنوعة، هذه المحسنات يمكن أن نجمعها في وحدة خاصة بإزالة اللبس، وهذه المحسنات هي: الإيضاح والتبيين والتتميم والاحتراس والتكميل والاعتراض.

٣- ثمة مجموعة أخرى من المحسنات البديعية هدفها إحداث مبالغة في الموضوع محل الخطاب، وتستخدم عدة وسائل حجاجية لإقناع المخاطب بالقضية التي يريد المتكلم توجيه المخاطَب إليها عن طريق إثارة المشاعر وتحريك العواطف تجاه هذه القضية، وهذه المحسنات هي: المبالغة والإيغال والتجريد والتفريع وتأكيد المدح بما يشبه الذم.

٤- أما المجموعة الرابعة فغرضها الإطناب، وهي: حسن البيان والتذييل والاستطراد.

٥- محسن يستخدم السخرية، وهو التهكم.

٦- محسن يستخدم الحجج شبه المنطقية، وهو التقسيم، مع الأخذ في الاعتبار أن الأهداف الحجاجية للمحسن الواحد يمكن أن تتغير من سياق لآخر، ومن ثم يتم تحويل هذا المحسن من مجموعة إلى أخرى.

مراجع وهوامش البحث:

(١) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ١٣١، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٨م.

(٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ١٢٢، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، وانظر كذلك: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص ٣٠٩، الطبعة الأولى، كنوز المعرفة، الأردن، ٢٠١٤م.

(٣) محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، ص ١٠٥، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م.

(٤) حاول الدكتور محمد عبد المطلب تقليل صور البديع والبديعيات حيث أرجع كثرتها إلى الرغبة الشديدة لدى البلاغيين في التفريع والتقسيم والادعاء باكتشاف ألوان جديدة لم يقع عليها سواهم، و"من ثم كان هناك تداخل بين كثير من البديعيات سواء في التسمية أو في التعريف، كما أن هناك ألوانًا أخرى يجب نقلها من مباحث البديع إلى البيان والمعاني أحيانًا، أو إلى علوم النحو والعروض أحيانًا أخرى" المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٥) مجدي أحمد توفيق، ما البلاغة؟ دراسة، ص ١٨٨، الطبعة الأولى، سندباد للنشر والإعلام، القاهرة، ٢٠١٣م.

(٦) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ١، ٢، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٧) مجدي توفيق، ما البلاغة؟، ص ٣٣.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٩) أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، ص ٢١، مطبعة الرسالة، ١٩٤٥م.

(١٠) انظر: شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص ١٨، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ٢٠١٠م.

(١١) انظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص٦٥، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٧م.

(١٢) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ٢٠، العمدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

(١٣) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، (٤/١)، (مقدمة الكتاب)، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ٢٠١٠م.

(١٤) أحمد حسن الزيات، دفاع عن البلاغة، ص ٢٤.

(١٥) انظر: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، ص ٥، الطبعة الأولى، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ٢٠١٠م.

(ISSN: 2536 - 9555)

[١٦] محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص ٣٩٨، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب بمنوبة، تونس.

[١٧] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص ١٩، الطبعة الأولى، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠١١م.

[١٨] انظر: علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال، نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، ص ١٥، الطبعة الأولى، مسكيلياني للنشر، تونس، ٢٠٠٨م.

[١٩] انظر: عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، (٣٢/١)، إعداد: حافظ إسماعيلي علوي، وثمة رأي آخر يرى "هذا الفهم للحجاج غير دقيق؛ إذ الأقرب إلى الصواب هو أن هذا البعد العاطفي هو بالأحرى الذي يرشح أكثر من غيره الخطاب؛ لكي يكون حجاجيًّا" محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص ١٦، ضمن مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد ٤٠، أكتوبر ديسمبر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١١م، والحقيقة أنه لا غنى للحجاج عن الاثنين معًا العقل والعاطفة، وإنما لكل موقف ما يناسبه، وكل نظرية تركز على أحدهما دون الآخر لا تصل إلى سبر أغوار النصوص الأدبية من جميع نواحيها.

[٢٠] علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال، ص ٤٢.

[٢١] يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (١١٧/٣)، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

[٢٢] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص ١٢٨، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٢م.

[٢٣] عبد الله بن المعتز، البديع، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، إن المبالغة غير مقبولة ليس في البديع فقط، وإنما في سائر أبواب البلاغة، يقول أحمد فشل: "إصابة المقدار إذن ليست بابًا من أبواب البديع، ولكنها معيار للقيمة الفنية والجمالية يُحتكم إليه في درس البديع خاصة، والبلاغة عامة" أحمد فشل، علم البديع، رؤية جديدة ، ص ١١٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م.

[٢٤] عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص ١٢٩.

[٢٥] انظر: محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص ٦٢، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٢م، وانظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، ص ٨، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٧م.

[٢٦] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٩٠.

(٢٧) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٢٣، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٢٨) انظر: المرجع السابق، ص ٣١٧.

(٢٩) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ١٣٤، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦٤، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م، وراجع كذلك: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج– الخطابة الجديدة، لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، ص ٣٢٣، وراجع أيضا: محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج، ص ٣٩٧، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وراجع أيضًا: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص ٥٠، الطبعة الأولى، صحفات للدراسات للنشر، سورية، ٢٠٠٨م. وراجع كذلك: عبد العزيز لحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية، من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، ص ٢٣٠، الطبعة الأولى، كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٥م.

(٣٠) شكري الطوانسي، البديع وفنونه، مقاربة نسقية بنيوية، ص ٥٦، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.

(٣١) يرى إبراهيم محمود علان أن حسن البيان والتتميم والاعتراض والإيغال والتذييل والاستطراد من المحسنات التي تدخل في علم المعاني، انظر: إبراهيم محمود علان، البديع في القرآن، أنواعه ووظائفه، راجع: كل محسن من المحسنات السابقة على التوالي في الصفحات الآتية: ٦٥٠، ٦١٨، ٦٣٧، ٦٢٧، ٦٢٧، ٦٥٧، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، الإمارات، ٢٠٠٢م.

(٣٢) أحمد فشل، علم البديع، ص ٢١.

(٣٣) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٢٠، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩١م.

(٣٤) هـ ب. تشارلتن، فنون الأدب، ص ١٣، ترجمة: زكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة.

(٣٥) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص ٢٠٩.

(٣٦) الخِيلان مفردها الخال، والخال شامة أو نُكْتة سوداء في البدن، غالبًا ما تكون في الوجه.

(٣٧) رجاء عيد، المذهب البديعي في الشعر والنقد، ص ٣٢٠، منشأة المعارف، الإسكندرية، ويقول في المرجع ذاته: "الشعراء والكُتّاب الذين أتعبوا أنفسهم في سبيل استغلال المحسنات في كل ما ينظمون أو يكتبون بسبب فني ولضرورة فنية أو لسواها، هم الذين دفعوا بالبديع من مذهب فني له خطُّه التجديدي والأسلوبي الخاص؛ ليتحول إلى تزويق وتلفيق وتصنع" رجاء عيد، المذهب البديعي في الشعر والنقد، ص ٣٨٠.

(٣٨) أحمد أحمد فشل، علم البديع، ص ٥٧.

(٣٩) محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، ص ٧.

(ISSN: 2536 - 9555)

(٤٠) السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٢٣، تحقيق: نعيم زرزور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، وراجع كذلك: أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص ٣٧١، الطبعة الأولى، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٤١) شكري الطوانسي، البديع وفنونه، مقاربة نسقية بنيوية، ص ٥١.

(٤٢) يرى الدكتور شفيع السيد أن تخصيص البديع بوجوه تحسين الكلام علي أيدي السكاكي ومدرسته كان له جنايته على مسار الدرس البلاغي "فقد عزل الظواهر الأسلوبية بعضها عن بعض، وأصبح دور علم البديع بمقتضاه دورًا هامشيًّا أشبه بالتلوين الخارجي الذي لا تأثير له على جوهر المعنى" شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، ص٢١٨، دار الفكر العربي، القاهرة.

(٤٣) مجدي توفيق، ما البلاغة؟ ص ١٣١.

(٤٤) أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ٣٧٢.

(٤٥) راجع: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص ١٨٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ويرى الدكتور شكري الطوانسي أن ابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ) هو أول من أطلق مصطلح البديع على وجوه تحسين الكلام بعد السكاكي، مقتربًا بذلك من السكاكي في عدد تلك الوجوه ونوعها، بينما يكون بدر الدين بن الناظم هو الأقرب في متابعة تقسيم السكاكي لتلك الوجوه إلى لفظية ومعنوية، انظر: شكري الطوانسي، البديع وفنونه، مقاربة نسقية بنيوية، ص ٥٢، والحقيقة أن كتاب التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزملكاني هو تلخيص لكتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، وقد جعل الركن الثالث من كتابه في علم البديع دون أن يميز بين نوعيه: اللفظي والمعنوي، وكتاب المصباح لبدر الدين بن الناظم أكثر تأثيرًا فيمن جاء بعده من ابن الزملكاني، يقول أحمد مطلوب وخديجة الحديثي (المحققانِ لكتاب التبيان): "سار العلوي على خطى ابن الزملكاني في كثير من تفريعاته وتقسيماته وإكثاره من الإشارات والتنبيهات، وإن كان العلوي أكثر تأثرًا بتلخيص مفتاح العلوم لبدر الدين بن مالك المسمى بالمصباح، في تقسيم البلاغة إلى فنونها الثلاثة، وفي الحصر والتحديد" ابن الزملكاني، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ص ١٧، مقدمة المُحَقِّقَيْنِ: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

(٤٦) ابن الناظم، بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، ص ٢، تحقيق: حسني عبد الجليل، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٤٧) أشهرها الشروح الخمسة التي طُبعت في كتاب واحد وهي: الإيضاح للخطيب القزويني، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، ومواهب الفتّاح لابن يعقوب المغربي، ومختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني، وحاشية محمد الدسوقي على شرح التفتازاني.

(٤٨) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ٣٥٢، الطبعة التاسعة، دار المعارف، القاهرة.

(٤٩) انظر: المرجع السابق، ص ٣١٦، وانظر كذلك: أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ٣٧٠، وانظر كذلك: محمود حسن المراغي، في البلاغة العربية، علم البديع، ص ٣١ ، الطبعة الأولى، دار العلوم العربية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، وانظر كذلك: فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، ص ٢٧٦، الطبعة العاشرة، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

(٥٠) انظر: أحمد مطلوب، فنون بلاغية، ص ٢٠٦.

(٥١) أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ٣٧١.

(٥٢) راجع في ذلك: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص ٢٣، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٥٣) شكري الطوانسي، البديع وفنونه، مقاربة نسقية بنيوية، ص ٧، ٨، وانظر: المرجع السابق، ص٦٥.

(٥٤) محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص ٢٩٣، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م.

(٥٥) انظر: أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص ١٣٤.

(٥٦) عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، ص ١٤، ويقول السكاكي: "أصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني لا أن تكون المعاني لها توابع" السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٣٢.

(٥٧) انظر: حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي، ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(٥٨) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٤٧، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وانظر كذلك المرجع نفسه، ص ٣١٥، وص ٣١٩.

(٥٩) شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٦١، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٦٠) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ٨٦، ٨٧.

(٦١) أحمد فشل، علم البديع، ص ١٢٣.

(٦٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٢١.

(٦٣) رجاء عيد، المذهب البديعي، ص ٣٧٣.

(٦٤) أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ص ١٥٢.

(٦٥) مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، ص١٣١، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م.

(٦٦) عبد الله بن المعتز، البديع، ص ١٤٧.

(٦٧) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، (٣٦٤/٢)، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٤م.

(ISSN: 2536 - 9555)

(٦٨) حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص ٢٤، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(٦٩) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٠٦، ومعظم تعريفات البلاغيين العرب للمذهب الكلامي تدور حول هذا المعنى، فعلى سبيل المثال يقول عبد المتعال الصعيدي: "هو أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام" بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص ٢٧٦، الطبعة السابعة عشر، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٧٠) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج . الخطابة الجديدة، لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، ص ٣٥٠، والحجاج "جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله"، حمو النقاري و(آخرون)، التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، ص ٨٢، الطبعة الأولى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢٠٠٦م، "ويشير المصطلح Argue في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب أو العلل التي يراها حجة مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك ما"، حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، (٢/١) (مقدمة الكتاب)، وانظر كذلك تحديد (لالاند) لمعنى الحجاج، المرجع السابق، (٣/١).

(٧١) رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص ٧٧، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، المغرب، ٢٠١٤م.

(٧٢) شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص ١٥٤.

(٧٣) كريستيان بلانتان، الحجاج، ص ٣٩.

(٧٤) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٠٦.

(٧٥) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (٢٦٤/٢)، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٧٦) ابن الناظم ، المصباح، ص ٢٠٧.

(٧٧) محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص ٨٢، الطبعة الثانية، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢م.

(٧٨) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ١٢٧.

(٧٩) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٠٨.

(٨٠) انظر: أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، ص ٤٨٦ ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٨م.

(٨١) ابن الناظم، المصباح، ص٢٤١، ٢٤٢.

(٨٢) كريستيان بلانتان، الحجاج، ص ٥٦، ترجمة: عبد القاهر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.

(٨٣) انظر: المرجع السابق، ص ٥٨.
(٨٤) المرجع السابق، ص ٣٥.
(٨٥) انظر: أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، ص ١٤.
(٨٦) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٠٥.
(٨٧) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة، لبرلمان وتيتيكاه، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، ص ٣٠٢.
(٨٨) انظر: ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ١٨٥، تحقيق: حفني شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.
(٨٩) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٠٨.
(٩٠) المرجع السابق، ص ٢٠٨.
(٩١) المرجع السابق، ص ٢٠٩.
(٩٢) انظر: العلوي، الطراز، (٥٠/٣).
(٩٣) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٠.
(٩٤) الصّوب: المطر بقدر ما ينفع، ولا يُؤذي، والدّيمة: المطر يدوم زمانهُ في سكون، وتَهْمِي: تسيل.
(٩٥) المقصود بمسِّ الأرنب لِيْن المسِّ.
(٩٦) الزرنب: طِيب من البادية.
(٩٧) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٥، ٢١٦، وأخذ ابن الناظم بعض شواهد الاحتراس، وكذلك شرح هذه الشواهد من ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، ص٢٤٧، ٢٤٨.
(٩٨) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٦.
(٩٩) المرجع السابق، ص ٢١٦.
(١٠٠) المرجع السابق، ص٢١٦، ٢١٧.
(١٠١) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (٢٠٨/٣)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثالثة، دار الجيل، بيروت، وانظر كذلك: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، الفصاحة، البلاغة، المعاني، ص ٢٤٠، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م، ويرى إبراهيم علان أن التكميل بعضه يلحق بالتتميم، وبعضه بالاحتراس، وبعضه بالتذييل، انظر: إبراهيم علان، البديع في القرآن، ص ٦٢٠.
(١٠٢) انظر: العلوي، الطراز، (٦١/٣)، وانظر كذلك: محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، ص ١٢٤.
(١٠٣) انظر: ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

(١٠٤) المرجع السابق، ص ٢٢٠، يرى كثير من البلاغيين كقدامة بن جعفر في نقد الشعر، وأبي هلال في الصناعتين، وابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، أن في هذا الشاهد نوعًا من الالتفات في المعنى، انظر على سبيل المثال: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، (١٣٤/١).

(١٠٥) محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ص٣٩٤، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١٠٦) المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(١٠٧) توماس أ. سلوان: موسوعة البلاغة، (١٤٥/١)، ترجمة: نخبة تحت إشراف: عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط١، ٢٠١٦م.

(١٠٨) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(١٠٩) المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(١١٠) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٦، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١١١) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(١١٢) المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(١١٣) انظر: أبو نصر الباهلي، شرح ديوان ذي الرمة، (١٤٩٩/٣)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، الطبعة الأولى، مؤسسة الإيمان، جدة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، برواية (مثل البعير المدجل).

(١١٤) ابن الناظم، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ص ٣٩٨، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(١١٥) انظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (٤٠٥/١)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(١١٦) العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (٣/ ٧٢).

(١١٧) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(١١٨) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٢٠، ٣٢١، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.

(١١٩) قديمًا قسّم أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أنواع: الاستشاري وموضوعه تقديم المشورة بالنصح والتحذير، والقضائي ومجاله تحقيق العدل، والاحتفالي و"مداره على المدح والذّمّ فلا يهتمّ إلا بما هو جميل أو قبيح" عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٠٤، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، وإذا كانت العلاقة بين الخطابة بكل أنواعها والحجاج قوية جدًّا، فإن الشعر العربي القديم قريب من ناحية المضمون من الخطابة الاحتفالية من حيث كثرة اعتماده على غرضي المدح والهجاء مقارنة بالأغراض الشعرية الأخرى، مما يؤكد على الارتباط الكبير بين هذين الغرضين والحجاج.

(١٢٠) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٣٩.
(١٢١) المرجع السابق، ص ٢٤١.
(١٢٢) المرجع السابق، ص ٢٠٤.
(١٢٣) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ٤٩٠، وانظر كذلك: العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (٥٥/٣).
(١٢٤) انظر: المعجم الوسيط، (بلغ)، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
(١٢٥) انظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص ٨٦، ٨٧.
(١٢٦) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٠٥، ويُروى هذان البيتان لأكثر من شاعر، يقول محقق كتاب (الشعر والشعراء) الشيخ محمد أحمد شاكر: "هذان البيتان للحزين الكناني من أبيات يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وزعم أبو تمام فى الحماسة أنهما له فى مدح زين العابدينعلى بن الحسين بن على بن أبى طالب، وزعم غيره أنهما من أبيات للفرزدق فى مدح زين العابدين... والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك"، ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، (٦٥/١)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
(١٢٧) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص ١٤٣، دار الجيل، بيروت.
(١٢٨) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، (٦٦/١).
(١٢٩) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٨، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.
(١٣٠) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٧.
(١٣١) المرجع السابق، ص ٢١٧، ٢١٨، ويقول أبو هلال العسكري عن تعريف التذييل: "هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه" الصناعتين، ص ٣٧٣.
(١٣٢) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٩.
(١٣٣) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٤١٦، وانظر كذلك: محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، ص ١٢٤.
(١٣٤) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ١٠٨، ترجمة: محمد مشبال، عبد الواحد العلمي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣م، وانظر كذلك عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣١٨، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.
(١٣٥) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ١٠٨.
(١٣٦) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٣٢.
(١٣٧) غوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ص ١٤٧، ١٤٨، ترجمة: عادل زعيتر، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة.

(ISSN: 2536 - 9555)

(١٣٨) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٣٤.
(١٣٩) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص ١٣٢.
(١٤٠) ابن الناظم، المصباح، ص ٢٤٣.
(١٤١) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٢٦، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج .
(١٤٢) عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ص ٦٠٨.
(١٤٣) عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ص ٣٣١، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج.
(١٤٤) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٢، وكان قدامة بن جعفر من أوائل النقاد الذين وضَّحُوا فساد التقسيم، يقول: "ذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر(يقصد المعاني)، أو يأتي بقسمين: أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدهما تحت الآخر في المستأنف، أو أن يدع بعضها فلا يأتي به" قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٧٦، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ١٣٠٢هـ، وانظر كذلك: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ١٧٣.
(١٤٥) فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، ص ١٠٦.
(١٤٦) العلويّ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، (٥٩/٣).
(١٤٧) ابن الناظم، المصباح، ص ٢١٤.
(١٤٨) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير، ص ١٧٨، وانظر كذلك: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، (١٣٧/٧)، الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.